من مقام الوقت

تصميم الغلاف

محمد الفهد

من مقام الوقت

شعر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٧م

مـــن مقـــام الوقـــت : شـــعر / محمـــد الفهـــد.- دمـــشق:
الهيئة العامة السورية للكتاب ، ٢٠١٧.- ٢١٦ص؛ ٢٠سم.-
(من الشعر العربي ؛ ٢٦٣).

١- ٨١١.٩٥٦١ ف هـ د م ٢- العنوان
٣- الفهد ٤- السلسلة

مكتبة الأسد

من الشعر العربي

«٢٦٣»

كمان الخريف

عقرب العادات

كلَّ صباحٍ أنظرُ في الساعةِ

كي أعرفَ أحزاني وأقيمَ على عقربها

وقتاً أبكي فيه.

كم مرَّ زمانٌ وأنا في هذي العادةِ

حتّى جاءَ زمانٌ صارتْ كلُّ عقاربِ ساعَتِنا

دمعاً وبكاءْ

ونوافذَ يرشحُ منها جرحُ الماءْ

مرايا الصفصاف

ويقال صليبٌ وجنازاتٌ

وأنا لا أعرفُ غيرَ صليبٍ يحملُني

طولَ الوقتِ وجُنَّازاتٍ تَعْبُرُ روحي

ونحاسٌ يصرخُ في جرسِ الوقتِ

بأنَّ النعشَ على جسدي

كمرايا الماءِ على الصفصافْ

فأصيرُ كما شاءتْ أمواجُ البحرِ

شراعاً لا يعرفُ مجدافْ

دروب المساء

وحياتي شوقٌ لامرأةٍ تأخذُ صوتي

وتصيرُ القبطانَ على أضلاعي أو ما شاءتْ

فانا ممتنٌّ أنَّ لها هذا الحضنَ الدافئَ

يأخذُ روحي كجناحِ الطائرِ مرفوعاً

ويزيلُ بلمسةِ سحرٍ بضعَ كآباتٍ

ويفتِّحُ لونَ الوقتِ صباحَ مساءْ

وبقيتُ أناشدُ ذاكَ الحلمَ طويلاً

حتَّى أوقفني عندَ البابِ

وراحتْ يدهُ البيضاءُ

تنقِّي ما أبقى الوقتُ بروحي من أوهامٍ

ما فتَّق صوتُ اللّيلِ جروحاً وبكاءْ

أرق

فجراً والأرقُ المُرُّ يُسَوِّرُ روحي

أتملّى في هذا الأسمنتِ الساكنِ كلَّ مكانٍ

في هذي المدنِ العجفاءْ

حتّى يكسرَ كلَّ شعاعٍ قد يسترقُ السمعَ ويوقظُ

أسماءَ الأشياءْ

فأميلُ لروحي، أسمعُ صوتَ المئذنةِ الكبرى

فيرقُّ بقلبي خيطُ بكاءْ

قد يوصفُ في علمِ الغيب عيونَ رجاءْ

جناح الطائر

ومصادفةً مرَّتْ، كانَ المطرُ الهاطلُ

يغسلُ دنيا الأشياءِ وقلبي.

لم أسرعْ ساعتها وأنا أتَمَلَّى مشيتَها

مثلَ عيونٍ ترقبُ صوتَ نداءْ

حتّى صرتُ كقربةِ ماءْ

لم تتكلّم شيئاً

نظرتْ نحوَ الشيبِ بروحي

عرفتْ أنّي قد صرتُ دروبَ مساءْ

شرفة للجسد

اسْمَحْ لي يا جسدي أنْ أجلسَ بضعَ شروقٍ

وأعاتبَ ما كانَ على لوحةِ تفكيري

فلقد أتعبتُ عيونَك مذ كان الفجرُ بدايةَ أسراري

حتّى صرتَ تنزُّ الحامضَ من رئتيك

ولذا أستسمحُ موجَك حين أراك ضعيفاً

تُسقِطُ لفتةَ حزنٍ من شفتيك

فامنحني عذراً مثلَ عشيقٍ يومئُ حباً

ويرى أنَّ الغيم يسافرُ نحو فضاءِ الحلمِ

ويفرحُ أنَّ الحبَّ يزورُ مدائنَ أخرى

ويصيرَ سلاماً

فاجلسْ كي نتصافى عند الشرفةِ عصراً

خذْ بعضَ شرودي

وامنحني وقتاً لا يأخذُ وجعاً من روحي

ولنتركْ بعضَ عتابٍ عندَ البابِ

لعلَّ زماناً يأتي

فنصيرُ نُسيماتٍ ترفعُ وجهَ الريحِ كلاما

حدائق الفرح

ما يكسرني في هذي اللَّحظةِ ذاكَ الدمعُ

يبلِّلُ لحيتَهُ البيضاءَ

بكاءٌ يحرقُ أوصالَ الروحْ

حتَّى يسألْ: ما ذنبي أني آمنتُ

بربٍ يحملُ أسماءَ سلامٍ

ويكونُ بقربِ الإنسانِ يواسي جرحَ الوقتِ

ويمسحُ عنهُ التعبَ المضني

ما صارَ بقلبِ اللَّحظةِ من دربِ جروحْ

ورأيتُ بقلبي أنَّ اللهَ فرحٌ وجمالٌ يتجلَّى في زهرٍ وحدائقَ

في لفتةِ عصفور، وخروجِ الّلثغةِ من دنيا الأطفالْ

آمنَتُ يقيناً أنَّ اللهَ قريبٌ يبعدُ عنّا هذي الأوحالْ

فلماذا أُصلبُ زوراً وتقطَّعُ من أهلي الأوصالْ

أطلال

وأنا مثلُ قُدَامَى الشعراءِ أَجيءُ الأطلالَ

وأقرأ بعضاً منِّي فأعيدُ الخيمةَ صبحاً لرمادٍ

كانَ يفيءُ إليها ويناجي عشقاً فوقَ الأرجاءْ

لكنَّ الأطلالَ هنا ، بعضٌ من جسدي

حينَ ينامُ عجوزاً ينسى دائرةً يتوكأ فوقَ زمانٍ

صارَ بعيداً

وارتحلتْ منهُ الأضواءْ

دائرة للسنونو

كلَّ مساءٍ أجلسُ في شرفة منزلنا

أرقبُ دائرةَ سنونو تسرعُ ثمَّ تفيءُ

إلى ثقبٍ في الشبَّاكْ

يا اللهُ مازالتْ منذُ عقودٍ تأتي

كي تهمسَ لصغارٍ أنَّ الوقتَ هنا

ينمو أنفاساً

لتعودَ ربيعاً آخرَ يزهرُ صوتاً في الأفلاكْ

وأنا أجلسُ يهربُ ضوءٌ من جسدي

ويغادرُ مصحوباً بالدمعةِ

مرفوعاً كالحسرةِ في صوتِ ملاكْ

مرايا الأغصان

حينَ تودعُ أوراقٌ صفراءُ مرايا الغصنِ مساءً

أسمعُ همساً، صوتَ بكاءٍ يدنو منّي

فأُصيخُ السمعَ لأبصرَ فوقَ الغصنِ دموعاً،

آهاتٍ ونداءً لا أعرفُ من أينَ يجيءُ

لكنّي حينَ أفيءُ إلى قلبي

أشعرُ أنَّ الغصنَ قريبٌ يبكي عنِّي

سلام الحنين

ضيَّفتُ سنونو في شرفتنا منذ سنينْ

كانَ يجيءُ الينا في أوَّلِ آذارَ

فيصلحُ عشّاً ، ثمَّ يهجّى أفراخاً حرفاً حرفاً

لا يتركُ لِضَيَاعٍ أن يسريَ لعيون الوقتْ

لا يزعجني في شيءٍ

لكنّي حينَ تضيق الجدرانُ وأخرجُ للشرفةِ ضجراً

أتملّى وقتاً بعيونٍ خرجتْ من دائرةِ العشِّ

لتنظرَ لي ترفعَ من طرفِ الصوتِ جناحاً

بعضَ سلامٍ يُبْعِدُ عن روحي المُقتْ

فأصيرُ إلى ضحكٍ

أنَّ الرحمةَ جاءتْ من طيرٍ يفهمني

أكثرَ من هذي البلدانْ

ويصيرُ يحوِّمُ فوقَ الرأسِ

ليشعلَ في ريحِ الشرفةِ صوتَ حنانْ

خريف الأمنيات

حاولتُ طويلاً أن أُخفي صوتَ خريفٍ

يمتدُّ إلى كلِّ خلاي روحي

ويعشعشُ في وجعِ الصدرِ وفوقَ الأضلاعْ

لكنَّ صريرَ الروحِ يفيضُ بقلبي

حتّى يعلو فوقَ الأسماعْ

فأحاولُ أن أتخفّى عن عيني

أن أُسْكِتَ هذي المذبحةَ الكبرى في جسدي

أن أخفيَ دمعَ غروبٍ يتهجَّى دربَ المحاةْ

لكنِّ الصوتَ يهاجمُ ظلِّي

لأصيرَ بياضاً

لا يعرفُ دربَ الريحِ من الأصواتْ

صوت البنفسج

أتذكرُ، كنتُ شباباً

أقرأ في مدرسة نائيةٍ عن بيتي

أجمعُ من دربي ما صادفَ دربي

من أزهارْ

يوماً ألفيتُ بنفسجةً قربَ جدارْ

قلتُ لنفسي هذي لامرأة أخذتْ عقلي

صارتْ مرآةَ الأسرارْ

لكِّني حينَ قطفتُ ثلاثاً منها

نامتْ في كفِّي ميّتةً

وسمعتُ نداءَ العصفورْ

هذي الأزهارُ لروحِ الأرضِ

فلا تكسرْ أصواتَ نداءٍ ترسلها الدنيا

لا يسمعها إلّا من كانَ نقيّاً كالبلورْ

وجدٌ لأيلول

إن كـانَ زائـرُك الوحيـدُ هـو المسا

فلمن ستفتحُ بابَ بيتكَ يا صباحُ[1]

ذاتَ صباحٍ راقبتُ الغيمَ الهاربَ

من دربِ الريحِ إلى أيلولْ

كانتْ أشكالاً تنسجُ أخيلةً

حتّى تحسبَ أنَّ الكلماتِ تحاورُ أشعاراً

---

(١) البيت الشعري للشاعر جوزيف حرب.

وصبايا تخلعُ أرديةً كي تلبسَ أخرى

وتراسلَ في كلماتِ العشقِ مرايا المنديلْ

وبلمح الغفلةِ أبصرتُ شبيهي

يُومِي لي ويقولُ كلاماً، لم أفهمْ ساعتَها

لكنَّ الأيامَ تتالتْ كي أبصرَ

أني شمعٌ يتلظّى قربَ القنديلْ

أصوات الرحيل

حينَ أعانقُ حبّاً وأصيرُ إلى شفةِ القبلةِ صبحاً

يتراءى لي أنّي أرفعُ منديلَ وداعٍ

فتصيرُ الدمعةُ واقفةً في حلقي

خائفةً من صوتِ عويلْ

فأماشي وجعَ اللّحظةِ ظنّاً منّي

أنَّ الكونَ سيعطي بعضاً من أملٍ

وأصيرُ إلى أيّامٍ ترفعُ صرختَها

فإذا بالحزنِ يغلّفُ هذي الريحَ وقلبي

وتنامُ بقربي أصواتُ رحيلْ

ظلال الكلام

وحملتُ إلى روحِ الغيمِ سلاماً وبقايا أحلامْ

كنتُ إذا صادفتُ امرأةً وتعلَّقَ قلبي ساعتَها

أشردُ وأحاولُ أن أتمددَ وأنامْ

كانَ الحلمُ جميلاً أنْ ترفعَ رأسي

تحضنَهُ وتغرِّدَ ما شاءتْ من قصصٍ

حتَّى لو قرأتْ ما فعلَ الريحُ بدمعِ غمامْ

لكنِّي لمْ أبصرْ حتّى الساعةِ

وجه امرأةً تمسكُ كفِّي ، تأخذُ حضني

وتهدهدُ رأسي مثلَ يمامْ

ولذا مازلتُ أفيقُ سراباً بينَ الساعةِ والأخرى

كي أبحثَ عنها

علِّي أمسكُ ثانيةً بالوقتِ

أعيدُ تراتيلَ الأمِّ مساءً

ما قالتْ لي حينَ حملتُ ذراعيها:

كلُّ إناثٍ غيري لن تمسحَ عن جرحكَ

صرخةَ وجعٍ

وتعيدَ إلى سرِّكَ صوتَ سلامْ

ستظلُّ تفتِّشُ عن ميناءٍ لا تبصرهُ

إلا عندَ الشعرِ وما قالَ الوجدُ مساءً في ظلِّ كلامْ

حكايات الأصابع

في تلكَ القريةِ حيثُ الشجرُ المسكونُ

بروح الخضرةِ يتفيأُ كلَّ الطرقاتِ

ويمشي مع دربِ النهرِ إلى الأشياءْ

أوقفني صوتٌ من أعماق الماضي يندهُ لي

كي أرمي بعضَ سلامٍ للذكرى

للتنّور الساكنْ فيهْ

للجلسةِ قربَ النارِ مساءً

حيثُ تمدُّ الأيدي إصبعَها

كي تلمسَ في رفقٍ نبضَ الخنصرِ

أو عينَ الوسطى

أو أيَّ طريقٍ في دربِ الأسماءْ

أوقفني كي أبكي دفئاً كانَ سحاباً

يمطرُ فوقَ الأرضِ العطشى

فتروحُ العينُ وريفاً تنشدُ روح المطلقِ

في كلِّ دروبِ الرؤيا

ما فاضَ الوجدُ هياماً حتّى صارَ سماءْ

درب الشهوة

أتشهّى أن أجلسَ قربَ البحرِ مساءً

والشمسُ تودّعُ آخرَ صوتٍ في دربِ الفتنةِ

لأرى وجهي فوقَ الماءِ يطوِّفُ مثلَ النورسِ صبحاً

فيرى أرضاً ، بشراً ، يقرأ أشعاراً

ويرى موئلَ كلماتِ الربِّ وما رسمت رحلُتها

من طرقٍ حتّى اختارتْ أن تدخلَ بخضورَ الأشياءِ

عيونَ النبعِ وما تركَ العصفورُ بساحته

من صوتٍ يوقظُ سرَّ الأهواءْ

وأرى روحي تخرجُ منِّي

تسبحُ فوقَ الماءِ رويداً

كالموج التائهِ من سرِّ البحرِ

وما أفضى اللَّوْنُ من الأصداءْ

وأودِّعُ شمسَ الكونِ بآخر تلويحٍ

كي أغمضَ ليلي

وأصيرَ مدائنَ من فرحٍ لا يعرفها

غيرُ القابعِ في روحِ الأشياءْ

رحيل

هذا جسدي ملقى فوقَ الحسرةِ

يتمطّى ، يرسلُ آهاتٍ،

شجراً من وجعِ القلبِ

وما فاضَ الحزنُ غيوماً

وكلاماً فوق الأوصالْ

فأباعدُ بينَ الأحزانِ ودربي

ما فاضَ الدمعُ وحيداً

لأرى روحَ الكونِ حداثةَ هذا الأفقِ على الأوحالْ

فأحاولُ أن أرحلَ مع نفسي

علِّي أُبْعِدُ عن روحي كفناً يتهجَّى كلَّ الأشياءِ

يصيرُ دروباً ، قبراً للأجيالْ

رائحة العبور

أوصاني روحُ الشعرِ وصايا

أَرْسَلَهَا عَبْرَ عيونِ الورقِ الأبيضِ

أنْ أُبْعِدَ صوتي عمَّا يجري في الشارعِ

من أوهامٍ ومرايا

تأخذُ عينَ الشعرِ من الأنهارْ.

أوصاني أنْ أكتبَ فوقَ الريحِ مدارَ الرؤيا

حتّى يتبيَّن دمعُ العشقِ على الأسرارْ

حتّى أسمعَ صوتَ رنينِ غيابٍ

يقرعُ بابَ البيتِ ويرمي كفَّ الشوقِ

يواصلُ دفعَ العينِ فضاءً

عمَّا يوقظُ صوتَ الأوتارْ

سلام الريح

مرَّتْ رافعةً يدَها

فكأنَّ الريحَ تسلِّمُ قربي

وتنادي صوتي مثلَ يمامٍ

يعشقُ قربَ الدارْ

حينَ توكأ روحي فوقَ دمي

أبصرتُ مَداها غَيْماً يتهاطلُ

حتّى صرتُ أشمُّ الزرعَ

يفوحُ بروحِ الأسرارْ

يا اللهْ كيفَ تداخلَ ذاكَ الصوتُ بروحي

وتعشَّقَ ليلَ الأقمارْ ؟**!**

لا أدري. لكنَّ الصوتَ بقلبي

يوقظُ أنفاسي فَأُحِسُّ برائحة النهدِ

تعشعشُ فوقَ الأضلاعِ

تقولُ كلاماً لا أفهمهُ

لكنْ أسمعُ قلبي حينَ تمرُّ

يراقصُ أوتاراً مثلَ الأنهارْ

عكاز الباب

هـذي القـصائدُ لا أفـراحَ تكتبُهـا

عنـدَ الـصباحِ ولا عطـرٌ يؤاخيهـا

كم يُحْزِنُنِي حينَ أسائلُ صبحاً

أنْ يمنحني دفئاً

يلقي عُكّازاً عندَ البابِ

كأني قشّةُ صيفٍ تأخذُها الريحُ

يدحرجُ فيها الأصواتَ

ويرمي ما شاءَ:

نوافذَ جسمي... أسمائي

ومرايا كنتُ أخبئ فيها بعضَ الماء

وأصواتاً من نوحِ خرابي

لأفيقَ عجوزاً يتوكأُ عندَ الذكرى

وينامَ غُروباً يتلمَّسُ بعضَ طريقٍ

وحروفاً تاهت عندَ غيابي

دائرةُ الألوان

ما كانَ لهذا الماءِ عيونٌ

لو لا يدكُ البيضاءُ تمرُّ على الكونِ

فيمسي قمراً يسبحُ في الزرقةِ حباً

ويُضيءُ لقلبي الأزمانْ

ما كانَ لهذي الاحلامِ مرايا أن تصبحَ رؤيا

لو لا همسُكِ فيها

وعبورُك دائرةَ الألوانْ

فالتفتي كي يصبحَ لي وقتٌ أسعى في رؤياهُ

وأمشي مَرِحاً فكأنّي أقبضُ بعضَ الشمسِ سماءً

ما قالَ الشعراءُ من الوجدِ بليلِ العشقِ

وما زرعَ اللهُ ضياءً في الأكوانْ

فضاءُ الخضرة

وعلى الأفقِ بعيداً غيمٌ يتشكّلُ

راحَ يماشي الريحَ ويسري

حتّى أمسى قربَ الشجرِ اليابس

ظلاً وهواءْ

وجرى بينهما بعضُ كلامٍ وعصافيرُ

وما كتبَ العشّاقُ دموعاً

من صوتٍ يوقظِ ذاكرةَ الأشياءْ

فإذا بالورق الأخضرِ يرسلُ من دمهِ صوتاً

وإذا بالخضرةِ تنسجُ ألوانَ فضاءْ

وأنا أبحثُ عمّن يرفعُ عن صدري

هذا الوجعَ الساكنَ صبحَ مساءْ

وأقولُ سلاماً ليتَ الجسدَ المُلْقَى

بعضٌ من غصنٍ

يرجعُ ثانيةً ليكونَ فضاءْ

صوت للظلال

ويكونُ سؤالٌ: ما معنى أن تختارَ الروحُ

عوالمَ بُعْدٍ وتَفِيءَ بظلِّ خريفْ

حتّى صارَ الحورُ دروبَ كلامٍ في ظلّي

ونداءُ الدمعِ حزيناً

ما أبقتهُ دموعٌ في صوتِ نزيفْ

أتكونُ الدنيا قد صارتْ عُكّازاً ووداعاً

أم حملتْ جرحَ الأرضِ

وريقاتٌ صفراءُ تودِّعُ غصناً في عجلٍ

ترمي في رحلتها صوتَ حفيفْ؟؟

روح للأزرق

في زاويةِ المقعدِ كانتْ مِحبرةٌ صغرى

كي نغمسَ ريشتَنا ويضيءَ اللّونُ الأزرقُ

آفاقَ بياضٍ ما أوحى الشعرُ لشهوتهِ الأولى

عندَ الموجِ وما غمرتْ أحلامٌ دنيا الأشعارْ

فَتُحَلِّقُ كلماتٌ وتُضَاءُ سماواتٌ

حتّى يرقصَ عصفورٌ وتغنّي الريحُ

بصوتِ الشهوةِ ديوانَ اللّهفةِ والأسفارْ

وتصيرَ الدنيا أسئلةً

وفضاءً لعبورِ الوجدِ

وما قالَ العاشقُ في غمزِ العينِ

دموعِ الفتنةِ والأقمارْ

هل كانتْ ريشتنا تدركُ سرَّ الزرقةِ

فوقَ بياضِ الصفحةِ

أمْ تركتْ ثدييها تعصرُ أحلاماً

وتروحُ تروحُ نداءَ الموجِ

لصوتِ المطلقِ في الأسرارْ ؟؟؟

باب الغيم

فِي عيدٍ للديرِ وكنّا نعبرُ نحوَ جبالٍ

تمسكُ بابَ الغيمِ وترمي ليلَ خريفٍ

بسواقي الماءِ على الجدرانْ

أَوْقَفَنَا صوتُ غناءٍ من دنيا الديرِ

يمجِّدُ بابَ المطلقِ

يفتحُ في دنيا الروحِ شرايينَ فضاءٍ

ويسائلُ حتّى تكبرَ دائرةُ الإنسانْ

فأرى في الساحةِ وجهَ مسيحٍ فوقَ الصَّلْبِ

يسائلُ دائرةَ الأكوانْ

فأجيءُ لأقعدَ عندَ الركنِ الأقصى

فأرى جرحي محفوراً في خشبِ الصَّلْبِ

وعلى مسمارِ المعنى

يتعالى حتَّى يصبحَ غيماً

يمطرُ في روحي الأحزانْ

غيوم الكلام

لا أدري كيفَ أصوغُ الكلماتِ

لأبحرَ في سرِّ جمالٍ يأسرُ روحي

حتّى أبدو مثلَ صغيرٍ يتهجّى أصوات الكلماتْ

فعلى صوتكِ غيمٌ يشردُ في هذي الدنيا

كلٌّ يترقبُ مطراً

وأنا أفتحُ صدري علِّي أمسكُ

دائرةَ الأصواتْ

عجزتْ أضلاعي أن أجري خلفَك فجراً

فقعدتُ لأبصرَ عيني عالقةً في دربِ الريحِ

كأنِّي أتعلَّمُ فنَّ الصمتِ

وأمشي في وجهته خطواتٍ خطواتْ

لا تتحرَّكُ عيني عن دربٍ قد تعبرُ

نفسكِ سابحةً حتَّى يتراءى للبعضِ

بأني في دنيا الأمواتْ

لكنَّ الهمسَ يداخلُ روحي

أعرفُ أنَّ خيالَك قد يعبرُ

في نفسي فأصيرُ فضاءَ الخضرةِ

تشربُ منهُ الغاباتْ

حلم

ما يحزنني أنِّي عشتُ طوالَ حياتي

وأنا أحلمُ بامرأةٍ تغسلُ يدُها روحي

كلَّ صباحٍ وتجيءُ لترسمَ مع فنجانِ القهوةِ

لونَ ضبابٍ غاباتٍ

وبحاراً تنزلُ سرَّ الموجِ على الشطآنْ

وبقيتُ أمارسُ طقسَ الحلمِ

على مرأى من وجعِ القلبِ بروحي

نكدِ العيشِ ، غروبِ الظلِّ على الأبدانْ

حتّى جاءَ مساءٌ ۰۰۰۰ طقّتْ روحي

فبكيتُ بكيتُ فلم يسعفني دربٌ

لم تتحمَّلْ هذي الريحُ عويلي

فجريتُ بلا دربٍ حتَّى أوقفني صوتٌ

كانتْ أمّي واقفةً ترمقُ صدري

تلمحُ جرحَ الوقتِ على الأكفانْ

حينَ انتبهتْ عيناي لصوتِ يديها فوقَ ضلوعي

أسكتَ دمعي همسٌ يتعالى كوناً

في وجد حنانْ

كانتْ رؤيا آهٍ من رؤيا تعرفُ دربَ الأحزانْ

سرٌّ للمذياع

صبحاً أفتحُ بابَ المذياعِ

لأشردَ مع صوتِ الصبحِ لفيروزَ

وما حملتْ من ظلٍّ يدفعُ سامعَها

أن يهجرَ وقتاً يتلظَّى في صمتِ القبرْ

لكنَّ الصوتَ يقطِّعُ لوني

ما أن أدخلَ سرَّ اللحظةِ حتَّى

يتقطَّعَ بالأنباءِ العجلى عن موتٍ ومعاركَ

في أقصى البلدانِ وحتَّى دربِ النهرْ

فأعودُ لأصبرَ ثانيةً علِّي أخرجُ

نحوَ الحلمِ وأحملُ أسماءَ السرْ

لكنَّ الموتَ يعودُ بألفِ طريقٍ

وأعودُ لأكسرَ مذياعي

وأصيرَ جنوناً كالجمرْ

رؤيا

لاشيءَ بهذا الوقتِ المضني

كي أحسبَ أنَّ العمرَ يمرُّ بها يجعلُ

للزمنِ الحاضرِ فرحاً في دائرةِ

تعطي ضوءَ ملاكْ

فإذن سأغادرُ دونَ عيونٍ

ترمي للخلفِ أصابعها أو حتَّى أسفٍ

فلقد نامتْ فوقَ ضلوعي مدنٌ

من وجعٍ ومراراتٍ لا تحصى

فاسمحْ لي أن أتفيأ وقتاً

أحسبهُ مختلفاً أو صوتاً يدفعني لرحيلٍ آخرَ

واسمحْ لي أن أذهبَ موتاً لهناكْ

شرفةٌ للخريف

وكلانا كنَّا نعشقُ من بينِ فصولِ السنة العجفاءِ

خريفاً يهمسُ للعينِ بأن تعرفَ

أسرارَ الكونِ فضاءَ الأشجارْ

كنَّا نجلسُ قربَ الجرفِ مساءً

والوادي يأخذُ عمقَ الأرضِ نزولاً

حتَّى لا يتبينَ في عمقِ الوادي أحدٌ

وكلانا يعشقُ رائحةَ الأرضِ

بُعيدَ المطرِ الأوَّلِ في تشرينَ

أو عندَ مرافئِ أيلولَ وما يتركُ

في الروحِ دموعاً

توقظُ أوجاعَ الأوتارْ

وكلانا يتركُ للأيدي أن تسرد

ما شاءتْ من قصصٍ

ونداءٍ في المعنى قربَ الأسرارْ

حتَّى نصبحَ والمطرَ الهاطلَ

جسماً مملوءاً بالنشوةِ

تفتحُ بابَ الشهوةِ قبلاتٍ

حتَّى نكسرَ جرحَ الأسوارْ

ولذا حينَ يجيءُ الوقتُ خريفاً

يتساقطُ جزءٌ منِّي في دنيا الشرفةِ

اصبحُ مثلَ الجرَّةِ مكسوراً

أو مثلَ زجاجٍ يتصادمُ بالأيدي

فتزفُّ الإصبعُ منديلاً

يرفعُ دائرةَ الوقتِ إلى الأقمارْ

بعض الأمنيات

أتمنَّى موتاً دونَ ضجيجٍ

يأخذني كالبرقِ سريعاً ذاتَ صباحْ

لأحلِّقَ في هذا الكونِ سريعاً

وأرى ما عجزتْ عنهُ الدنيا

عليِّ أبصرُ ما لا أعرفُ

من عطشِ الرؤيا وأصيرُ جناحْ

وأرى في مملكةِ الأنفاسِ عيوناً أعرفها

وأناجي من سرقتْ قمصانَ القلبِ

وراحتْ تشردُ في أدغالِ الروحِ

وتسكبُ في خمرِ المعنى

ما شاءتْ من أقداحْ

أترى سأكونُ سعيداً لو جاءتْ بقميصِ الفتنةِ

أم سأكونُ كما عشتُ طوالَ العمرِ

أفيءُ إليها يسبقني صوتُ نواحْ

أحوال

أنظرُ في معنى الوقتِ

أرى في الأشياءِ نزوعاً نحوَ الجوهرِ

مثلَ الخمرِ يجيءُ بصوتِ العنقودِ يحلِّقُ في الكأسْ

وأرى عمري يتبدى في جري

نحوَ دخولِ الرؤيا

حتَّى يصبحَ مهووساً مثلَ الجمرِ

يراكضُ أحوالَ النفسْ

لكنِّي في آخرِ وقتٍ

كنتُ أجالسُ صوتَ البحرِ بعيداً

وأرى دنيا الموجِ تجيءُ وتُلقي

أصواتَ دموعٍ ومرافئَ كانتْ تمشي مسرعةً

نحوَ الزائلِ في دنيا الكونِ

جروحاً تبصرُ دائرةَ المعنى

ممتلئاً بغروب الشمسْ

ظلُّ الأماني

على بوّابةِ الوقتِ وكنتُ أطوفُ في أحوالهِ عصراً

رأيتُ العمرَ مصلوباً على ظلِّ الأماني

ما تراكمَ من سنينْ

رأيتُ الروح مشروخاً وجسماً قد تكوَّم

في المواتِ وآخرَ المهجورُ

قد سلبت رؤاهُ الدمع في ظلِّ الخريفِ

وهجرةِ الأسماءِ في صوتِ الأنينْ

وقفتُ ألمُّ أصواتي وكانَ الحزنُ يأخذني

لأرسمَ لفتةَ أولى على بابِ الغروبِ

كأنّني من عالمِ لا يعرفُ الأوقاتَ

في جسدي ولا يدري زجاجَ الشوكِ

مسكوناً على هذي الدموعِ

ولفتةِ الأيامِ أصوات الحنينْ

دوائر المعنى

أتذكرُ كيفَ احتفلتْ أعضائي

وسما الروحُ حبوراً

حينَ ابتدأ الجسرُ يفيضُ بها

كانتْ في طرفِ الشارعِ

تمشي مثلَ الحجلِ المسكونِ بروحِ الغابات

حاولتُ مراراً أن أسرعَ في الوقتِ

وأن أتسابقَ والزمنَ الملقى فوقَ العتباتْ

لكنَّ الجسدَ الممعنَ في الوحشة صارَ بطيئاً

وتثاقلَ من همِّ الأوقاتْ

حينَ التفتتْ نحوَ قميصي

كانَ العرقُ المتصببُ يغسلُ دقّاتِ القلبِ

كأنِّي دمعةُ وجدٍ سقطتْ في البئرِ

فصارَتْ عينَ دوائرَ تكبرُ حتَّى انعدمت فيهِا الأصواتْ

دين العالم

أقرأ دوماً في أديانِ العالمِ

أنظرُ في لغةٍ تجمعُها

ويصلِّي الكلُّ وراء امامٍ فيها

حتَّى تبدو وجهَ غمامْ

فإذا بالحبِّ يكونُ عيوناً

ويفيضُ على الأزمانِ وما صارَ دروباً

من جبلِ الصينِ وحتَّى بلدانِ الشرقِ

عواصمَ تفتحُ بابَ اللهِ صباحاً بسلامْ

لكنَّ الأديانَ تصيرُ موانئ رزقٍ

وتخططُ للقتلِ وما شاءتْ من تكفيرٍ

وخروج عن دين القوم ونصِّ السلفِ الصالحِ

في دنيا الشامْ

صلبان الدمع

مزقّتُ تاريخَ المدائنِ في عيونِ الليلِ من جسدي

ورحتُ أسابقُ الأَيَّامَ أرميها بدمعِ الوقتِ

في لغتي وما أجهشتُ في صوتِ الحنينِ

فصحوتُ مرميَّاً على وجعٍ

فكيف تروح أيَّامي وذكراها

وما ابقتهُ روحُ الوجدِ في صحرائنا

عبرَ السنينْ

فرجعتُ صوتاً صادحاً لألمَّ أيَّامي وأقرأ صوتَها

حرفاً وأسري في ثنايا الوقتِ

لم أعثرْ على فرحٍ وكانَ الدمعُ مصلوباً

على أفقي ومرآةُ المدائنِ غبَّشتْ ألوانُها

ما عادَ في أسمائها غيرُ السوادِ

وما تبقَّى من فتاتٍ يصرخُ الآهاتِ

في جرح السنينْ

أصداء

حينَ ينادي غيمٌ في تشرينَ لصوتِ الأرضِ

أحاولُ أن أهربَ من عينِ الساعةِ

دقّاتِ الوقتِ حتَّى لا يسمعَ أحدٌ

ماذا يجري في القلبِ

وكيفَ تخلَّعَ شبَّاكُ المعنى

وانكسرتْ دربُ الأسماءْ

وأحاولُ أن أكتمَ ما يعبرُ دربَ الريحِ هنا

من صوتِ عويلٍ يكسرُ ظلَّ الخضرةِ في الماءْ

لكنْ ما أن يأتي وقتُ غروبٍ

وأروحُ لأندهَ أصواتي

كي ألقي تعبَ الروحِ خريفاً

حتَّى يسكنَ ورقٌ أصفرُ أضلاعي

وينامُ القبرُ بصوتِي قربَ الأصداءْ

جرف الرغبات

كنَّا إذا انتصفَتْ ليالي الصيفِ

واحتضنتْ مرورَ الوقتِ في قمرٍ

يراقبُ ما تحوَّمَ في المدارِ

كأنَّهُ عينُ المراقبِ يصرخُ الأصواتَ

وحشيَّاً على مرأى من العشَّاقِ في لغةِ العبورِ

نسري صباحاً فوقنا طيفٌ

نجيءُ الجرفَ نمعنُ في السكوتِ

يهزُّهُ صوتٌ من الرشفاتِ

من عرقٍ يفوحُ على المدى

ويكللُ الأزمانَ في سرِّ الحبورِ

حتَّى إذا ارتحلتْ تلكَ الزجاجةُ للمواتِ

يهزُّنا صوتٌ ونبدأ بالغناءِ

كأننا قصبُ الرعاةِ نفيءُ في ناياتهم

حتَّى نهزَّ الوقتَ من انشادنا

ونصيرَ ميناءً على أسماعنا

تبكي الصدورْ

اعترافات

وقفتْ عندَ الطرفِ الأوَّلِ من باب الجسرِ

وكانَ النهرُ يسابقُ ماءَ الأمطارِ

ويسري نحوَ عيونِ الأرضِ جمالاً

مثلَ عروسٍ تتزيَّنُ في ليلتها

ليصيرَ رذاذُ الماءِ ضباباً فوقَ الأصواتْ

قالتْ هذا الماءُ شهودي

أنِّي أحببتُ شرودكَ ، دمعَ الغربةِ في عينيكَ

وأوراقاً كانتْ تكتبُ سرَّاً من شفتيكَ

تناشدُ حبراً يجمعُ دمَهُ عندَ دواةْ

امْ أفتحْ بابَ القولِ تخوَّفَ صدري

أن أرمي كلماتِ الحبِّ فيهربَ قلبي فيها

وأصيرَ دموعاً فوقَ الممحاةْ

رياح الأيام

على بوّاَبةِ الذكرى أقيمُ الوقتَ من صبحي

وأشردُ في مآقيها كأنِّي اليومَ في أحضانها

أحبو كمثلِ الوردِ يفتحُ صدرَهُ أفقاً ورائحةً على قلبي

فتأتي من منابعهِ عيونٌ

تجعلُ الأوقاتَ أشعاراً وألواناً

وتأتي دورةُ الأسماءِ من ميلادها

عندَ الطفولةِ يومَ كنتُ أروحُ نحوَ الكشفِ

كي أرتاحَ من قلقي وأعرفَ ما تخبِّئهُ الثيابُ

من المفاتن والندى

فأغيبُ في أرجائها وأراجعُ الكلماتِ والصورَ

الجميلةَ روعةَ الكشفِ الجميلِ

وأعبُّ من ألوانها

حتّى اهتدى صوتي ونامت في مواجعهِ

عيونُ الصمتِ في دربي

لأرجعَ كلّما خانتْ رياحُ الوقتِ أسمائي

وصارتْ تكسرُ الأضلاعَ في جسدي

تميتُ الوقتَ في عيني فيهربُ

نحوَها حبّي

وقت الشاعر

ما يحزنني ذاك الشاعرُ

يكتبُ طولَ الوقتِ مساءً

وتروحُ دموعُ الليلِ تناجي لوعتَهُ

حتَّى يصبحَ مصلوباً فوقَ مراراتٍ

وغروبٌ يأخذُ من ألوانِ القولِ رياحاً

ويفتِّشُ عن معنى ليبدِّلَ كلماتٍ

ورمادُ الملحِ على شفتيهِ صليباً

يأخذهُ لدروبٍ ودروبْ

حينَ يفيقُ الصبحَ يعودُ ليقرأ

ما كتبَ الليلُ من الأحزانِ

وما فتحتْ أصواتٌ في شبَّاك الوقتِ

وحبراً يجرحُ ألوان المكتوبْ

حتَّى يصبحَ صوتُ الوقت نداءً

لكن لا يسمعهُ أحدٌ في منفاهُ

ويبقى يحلمُ أنَّ الكلمات

ستحفرُ في لغةِ التاريخِ شعاباً ومرايا

ويظلُّ يهلوسُ وينقِّي ما قالَ

الغيمُ بدربِ سؤالٍ يأخذهُ لمدائنَ أخرى

ينسجُ منها دمعاً وغروب

ويمرُّ زمانٌ فإذا بالكلمات تفيقُ

بقلب الناسِ وتصبحُ درباً

يعبرُ منهُ الكونُ إلى الآفاقِ

يعودُ الشاعرُ زهراً بريَّاً فوقَ قبورِ الواقعِ

يرسمُ كلماتِ الحبِّ

يصيرُ عيوناً ورموزاً لعبورِ المحبوبْ

عطر الذكرى

كم أحتاجُ زماناً كي أغسلَ روحي

من عطرِ الذكرى

فأنا حينَ أقابلُ وجهَ امرأةٍ

تأخذني تلكَ الأيامُ فأرى فيها صوتاً وعيوناً

ومدائنَ ترفعُ لونَ العشقْ

فأحاولُ أنْ أسكتَ روحاً ملأى بوجوهٍ

وعطورٍ وأجيءُ بصدرٍ يحملُ

من لونِ الحاضرِ نفساً يتمنَّى

أن يدخلَ روحَ العصرِ ولونَ البرقْ

لكنِّي لم أفلحْ حتّى الساعةِ

في أن أتهجَّى درسَ الوقتِ

وأدخلَ قاموسَ الكلماتِ

وما صارَ جديداً في لغةِ السَبْقْ

لأسائلَ: هل يتركني عصري

أم تتركني الذكرى أم أبقى بين اللحظةِ

والأخرى مرهوناً بمدى الأيامِ

أعيشُ زمانَ الخَنْق . . . ؟؟

مرايا الحنين

بخور الذكرى

أيـا شـجرَ الخـابورِ مَالَـكَ مُورِقـاً

كأنـكَ لم تَجْـزَعْ عَـلَى ابْـنِ طريـفِ(1)

تتسابقُ الذكرى إلى روحي

وأبقى صامتاً كالدمعةِ المْلأَى بآلاف السؤالْ

فهناكَ بينَ أزقةِ الخابورِ يومضُ في دمي عشقٌ

وأسماءٌ ، ورائحةُ البخورِ ، وما تبقى في دنانِ الخمرِ

(1) للشاعرة الفارعة الشيبانية

منْ ليلٍ يُجمِّلُ حلمَنا

وهناكَ صوتٌ ما يزالُ يدندنُ الآهاتِ في روحي

ويسري صادحاً

" إيشو" يغنِّي منْ أغاني الكردِ والآشورِ

حتَّى يوقظَ الغافي بما تركَ الزمانُ منَ المواجعِ

في ليالِ العشقِ ، في صوتِ الرحيلِ

وما نادتْ بهِ عينٌ تفيضُ منَ المحبةِ فوقَنا

فترى مواجعَ دورةِ الكلماتِ في صوتٍ يَئِنُّ

ويرتمي في روحنا نايا ً

يسافرُ في الحنين إلى الخيالْ

وترى زمانَ الوجدِ يومضُ هاهنا

فنطيرُ أصواتاً تلملمُ ما تَبَقَّى

منْ عيونِ اللَّيْلِ في أرواحنا خوفَ الزوالْ

ومساؤنا رفٌّ من الآهاتِ

محمولٌ على دربِ الصبايا

حينَ يرفعنَ الضفافَ إلى شغافِ القلبِ

مثلَ العطرِ يُومِي للمَدَى

فنهيمُ شوقاً مثل أغصانِ الدوالي

حينَ تُلقي ضوءَها ثمراً

وتسهرُ عندَ ليلٍ ترتدي أضواؤهُ

قمراً يدندنُ ظلَّنا

كنّا نجيءُ النهرَ، خابورَ الأماسي وردةً

ليزفَ في أرواحنا شبقَ الأنوثةِ

حينَ تخطرُ قربَ ماءِ النهرِ

والعرقُ المثلَّثُ يرفعُ الأيدي

لتبدأَ نغمةُ الرقصاتِ ترسلُ

شارةَ المشوارِ في سرِّ الظلالْ

فأهيمُ شوقاً كلَّما مدَّتْ يديها

نحوَ أسرارِ الأنوثةِ مثلما تمشي

بروحي دورةُ الأحلامِ صادحةً

وترمي سرَّها، فأصيرُ في عشتارها عشقاً

وينفرُ من دمي صوتٌ ينادي ظلَّها

وأدورُ حولَ الخصرِ ملهوفاً

كأنَّ الكونَ يومضُ هاهنا

ويفيضُ من سرِّ الجمالْ

حينَ ارتدى روحي ظلالَ الوهجِ خابورَ المدى

صارتْ دموعي حيرةً

وخرجتُ من صوتِ الوقار محلِّقاً

لأزفَّ رقصاً ماجناً كالنسرِ حينَ يصيرُ في قفصٍ

فلا يدري بأيِّ الصوتِ يصرخُ أو يفيضُ

فتسقطُ الكلماتُ حافيةً

وتبقى صرخةٌ فوقَ التلالْ

خابورُ نهرُ الفيضِ في وجدِ السؤالِ

وفي حنينِ الماءِ للعشبِ المجاورِ

سِرُّهُ في بسمةِ المشوارِ

حينَ تضيقُ جدرانُ البيوتِ على الحنينِ

ويسألُ الجسدُ الجميلُ عنِ المرافئ

عن عيونِ العشقِ في مشوارهِ

الموعودِ نحوَ البسمةِ الأولى

وما تركتهُ أحلامُ المساءِ من التصوّرِ والَمدى

ليصيرَ روحاً أو جنونَ الوجدِ في عمرِ الشبابِ

فيلتقي الاثنانِ كي ترمي العيونُ رسائلَ العشّاقِ

ما قالَ الزمانُ لصوتهِ المبحوحِ

ما أودى برائحةِ العطورِ إلى الدلالْ

خابورُ نهر الروحِ حينَ أفيقُ من تعبٍ

فيسري قربَها كي تستريحَ

وينثني في حلمها مثلَ الحمامِ يروحُ في أنثى الحمامِ

يصيرُ للصوتِ المدى

ويكونُ ما نادتْ به روحُ الشمالْ

خابورُ نهرُ اللّيلِ حينَ تروحُ أنسام الصبايا

كي تؤانسَ وحشةَ الطرقاتِ

ثمَّ يجيءُ صوتُ العشقِ همساً أو

كأصواتِ المعابدِ في دروبِ اللّيلِ في "نمرود"[1]

أو ما قالَ الهواءُ "بنينوى" في سرَّها[2]

ما زلتُ أشتمُّ البخورَ وصوتَ عاشقتي

وما تركتْ عيونُ الوقتِ في ليلِ الحوادثِ

من تواريخٍ وأسماءٍ وثورٍ يحتمي بجناحهِ

كي لا يطيرَ إلى الهلالْ

ما زلتُ أسمعُ من صدى الخابورِ أسماءَ الأحبةِ

حينَ يندهُ صوتُها بالشوقِ

كي نمشي إلى مشوارنا

---

(١) نمرود: من أهمِّ المدن في مملكة الآشوريين.

(٢) نينوى: كانت عاصمة مملكة الآشوريين.

ويصيرَ حانوتُ المودّةِ قربَ وجهتنا

فنعبُّ من تعبِ اللَّيالي

ما ترامى من نداءٍ قربَ ليلِ الماءِ

ما أوصى به ليلُ الخمورِ

وما صارتْ على أسمائه هذي المدائنُ

مذ ترامى عندها أصلُ الحضارةِ

وارتدى عنوانُها دربَ الرجالْ

مازلتُ حينَ أعودُ للذكرى

تفيضُ بدمعيَ المحروقِ أسماءُ الأماكنِ

ما تعالى الوقتُ من صوتٍ يرنُّ على المواجع جمرةً

فأصيرُ فيها هارباً من وحشةِ الطرقاتِ

في هذا الزمانِ

ودورةِ الأيامِ في مدنِ القتالْ

الآنَ احضنُ دمعتي وأصيحُ بالصوتِ

المعبأ في جروحي للممالكِ

عندَ "آشور" العظيمِ وثوره

إنَّ المدائنَ، ما تعالى من حضاراتٍ

وما نسجتْ يداها من خلودٍ

ترتدي أسماءَنا وتظلُّ في أرواحنا مثلَ الحياةِ

وأنَّ تاريخَ المدائنِ خالدٌ فيما تبقّى منهمُ

مثلَ الهواءِ وصوتِ هذي الريحِ أحلامِ المياهِ

وما تفيضُ به سورُ الترابِ

وما تنادى الصوتُ في ليلِ المدى

أو عندَ أحلامِ الجمالْ

ويظلُّ عطرُ الماءِ في أرواحهم

يسري إلينا ناسياً وقتاً عصيباً

دورةً صغرى بتاريخِ المواجعِ

مثلما تسري بذاكرةِ المدى روحُ الجلالْ

خريف العزلة

في العزلةِ في جبلٍ معصومٍ عمَّا يجري

قربَ الغيمِ وسرِّ الغاباتِ وصوتِ الجبلِ النائي

يتبدّى الفجرُ سلاماً، يوقظُ أصواتَ الكونِ

مدائنَ تنسى دورتَها ، أوراقاً تعرفُ كيفَ تفيقُ

وكيفَ تشعُّ بقلبي أنساماً من شتَّى الأطيافْ

في العزلةِ قرب المنفى يتسربُ طيفُ طفولتنا

حتَّى يومئ دفئاً أو صوتاً لعيونِ الشِعرِ

كي تُوقظَ غفوتَها وتقولَ كلاماً

لا يسمعهُ غيرُ الوجدِ المزروعِ بروحِ الأصدافْ

في العزلةِ نسمعُ روحَ الشهواتِ تنادي لؤلؤها

فنحاولُ أنْ نسكتَ ماءً يتسرَّبُ

من كلِّ شقوقِ الجسدِ الصارخِ في عطرٍ

يملأ أزهارَ الوقتِ ، طريقَ الأوصافْ

فأعودُ لألبسَ وقتَ الفجرِ عباءاتٍ

منْ صوتٍ لا يعرفُ غيرَ أنينِ خريفٍ

يقرؤهُ الفجرُ بصوتٍ عالٍ كي يُحدثَ

ألونَ بكاءٍ مثلَ الغيمِ على صوتِ الخطواتْ

فأحاولُ أنْ أهربَ نحوَ الذكرى

نحوَ نشيدِ امرأةٍ كانتْ تفتحُ بابَ الفجرِ

بصوتِ الشهوةِ

لكنِّي لمْ أبصرْ غيرَ بكاءٍ يأخذني

وخريفٍ يُسدلُ أستارَ الوقتِ بظلِّي

وأيادٍ ترفعُ شارتَها ، ودموعٍ تحملُ أحزانَ الشاراتْ

لأُسائلَ هذي النسماتِ: لأيِّ مرافئ أمشي

والنايُ الصادحُ كيفَ يكونُ حياةً أسماءً

وطريقَ الروحِ إلى الصلواتْ

هذي الكلماتُ تسائلُ أزمنةَ التاريخِ

وميلادَ الماءِ هنا

عنْ دمعٍ يرسمُ شاراتِ الوقتِ

وألوانَ الأشجارِ وأسماءَ الأزهارِ

وما يمزجُ سرَّ القلبِ دموعاً في روحِ الشهواتْ

فأصيرُ عيوناً.... فإذا بالكونِ يبوحُ بآخرِ أسرارٍ

كانتْ فوقَ رفوفِ العزلةِ....

هذا الوقتُ بكاءٌ مثلَ زمانٍ يمضي أو يأتي

فالفاجعُ دربُ الروحِ إلى المرآةْ

فأقومُ أُسوّي بعضَ كلامٍ عنْ ظلٍّ

لا يبرحُ يسألُ روحي:

كيفَ الماءُ يصيرُ دموعاً

أصواتاً تعلي روحَ المأساةْ

لأرى روحي مثلَ الكمأةِ قد شقَّتْ تربتَها

حتّى صارتْ درباً لعبورِ قوافلَ من راحوا

نحوَ ضفافِ الذكرى

وأنيناً في هذي الملهاةْ

وإذا بالعزلةِ تفتحُ بابَ السرِّ

فأمسي مثلَ البلّور صفاءً

وأرى ما أخفى الوجدُ من العشقِ

فصارَ هيامَ الروحِ على ظلِّ الأيدي

وفوقَ دموعِ الرؤيا في جمرِ الآهاتْ

فتعالي لو وقتاً كي نتسامى في سرِّ العزلةِ

ثمَّ نفتِّحُ درباً يفضي لسماءٍ

تعكسُ لونَ البحرِ

ما أبقى الظلُّ بليلِ الغاباتْ

٢٠١٥/٣/٦

أغنية لصوت الحنين

وأنا أسافرُ في عيونِ الأمنياتِ

روائحِ الذكرى ، أعيدُ الآنَ ترتيبَ الهواءِ

وسلَّمَ الماضي ، وما أبقتْ ضلوعُ الوقتِ

من أصواتهم عندَ الحنينِ و فوقَ أهدابِ المساءِ

يلفُّني ريحُ يجمِّلُ دورةَ الإزهار في ذاكَ الزمانِ

كأنَّه صوتُ الغناءِ إلى البعيدِ

فأصيرُ عندَ الأمنياتِ فراشةً للضوءِ تدركُ سرَّها

لكنَّني أمشي إلى تلكَ البيوتِ وصوتها

وروائحِ الماضي المعتَّقِ في الأغاني والنشيدِ

كمْ أشتهي لو كنتُ من حَبقٍ لأرجعَ للنوافذِ

زهرةِ الأيامِ ، أغصانِ الشبابِ

وما تعلَّقَ عندها من صوتِ أحلامٍ

يرنُّ على المسامعِ زهرةً بيضاءَ

متَّسعاً كما أفقِ الورودِ

فدروبنا عندَ المدائنِ هاهنا

قصبٌ يئنُ ورحلةٌ تجتاحنا نحوَ المنافي

فالمدينةُ يتَّمتْ أطفالَها لأكونَ شاهدَها

على مرمى العذاب ودفقةِ الوجدِ الذي

دخلَ العروقَ وصارَ صوتاً للحنينِ

يرنُّ في دنيايَ مئذنةً على أُفقِ الصعودِ

ما كانَ طوفانُ السفينةِ غيرَ وقتٍ ضيِّقٍ

لكنَّهُ فوقَ المدائنِ هاهنا موجٌ يزيلُ معالمَ الدنيا

الّتي صارتْ سواداً فوقَها حزنُ الرمادِ

وتحتَها أنقاضُنا عندَ المعابدِ والمعالمِ

ما بناهُ الروحُ في زمنِ الصعودِ إلى الحضورِ

ومن طريقِ الماءِ في دنيا الفحولةِ

عندَ سومرَ في الجنوبِ

وصوتِ بابلَ في الخلودِ

لنموتَ في بطءٍ على أملِ الطريقِ بصوتنا

وطريقنا نايٌ يفتِّشُ عن ضلوعِ الحزنِ في أرواحنا

ويجالسُ الأسماءَ حتَّى نحتفي بمدى المواجعِ

صوتِها عندَ الشهيدِ

فأعودُ للزمنِ الّذي حملَ الموانئ في دمي

وأسيرُ في أرجائهِ مثلَ البخورِ

يهبُّ من دنيا الشآمِ على سطوحِ دروبنا

وعيونهُ أبداً إلى آفاقِ دنيا الماءِ

ما أوصتهُ أبوابُ الجدودِ

كنَّا إذا طلعَ الصباحُ على الزهورِ

نفيقُ مثلَ الومضِ من خبزٍ يروحُ إلى التشهّي

ثمَّ نعبرُ دورةَ الكلماتِ في صورٍ وأحلامٍ

وما قد يرتدي عسلاً على دنيا الدليلِ

فتروحُ أنسامٌ إلى ظلِّ الحبيبِ

وقد تفيَّا في جذوعِ السنديانِ على مرامي القلب

يشعلُ دورةَ الأزمانِ في الأفقِ الجميلِ

ونصيرُ أسرى للكلامِ يجرُّ من أرواحنا عشقاً

ونجلسُ قربَ سيِّدةِ الحروفِ لنكتبَ الأحلامَ

في أفقٍ يغطّي دورةَ الساعاتِ ظلَّا فوقنا

حتَّى إذا جاءَ المساءُ يضمُّنا بيتٌ من الطينِ الحنونِ

وساعةٌ قربَ التجلِّي عندَ أطرافِ الكلامِ

وعطرِهِ المنشورِ آفاقاً على دنيا الجليلِ

هيَ أُمُّنا ترمي علينا شوقَها

فيضمُّنا وجدُ الحنانِ

ويحتمي في ظلِّنا طيرُ المحبةِ صادحاً

وتهيمُ أشواقٌ وأسماءٌ وما تركتهُ رائحةُ المكانِ

على الزمانِ بروحنا

حتّى إذا راحَ النعاسُ إلى الأصابعِ

جاءتِ الأحلامُ عاشقةً على مرآتنا

تمشي غزالاً يسندُ الأزمان في تاريخنا

ويفتِّحُ الجدرانَ من أسمائها

ويصيرُ طيراً يحضنُ الدنيا كما تسمو

عيونُ الشعرِ في دنيا القصيدةِ والحنانِ

وتطيرُ أجنحتي على آفاقها فتصيرُ أمداءً

تحكُّ برعشةِ الأنثى سماءَ الوقتِ

حتَّى ينتشي فينا الهواءُ

وخمرةُ العشّاقِ في ليلِ الدنانِ

ونفيقُ دفئاً نهتدي من ظلِّنا بمدى الأمومةِ

حينَ توقظُ وقتنا لنكونَ عندَ موائدِ الإفطارِ

دائرةً تمدُّ ضلوعَنا بمدى المحبّةِ والرؤى

فكأننا في لحظةِ الميلادِ يرسمُ صوتَنا

وجدٌ يليقُ بحضرة الإنسانِ

في الأفقِ المسافرِ للترقّبِ والندى

ما رفّ حبٌّ عند أغصان البيانِ

ما كانَ في أسماعنا أنا نصيرُ رهائنَ

الوقت الرصاصيِّ المميتِ

ويحتمي في روحنا نسغُ اليباسِ

يضجُّ من تعبٍ ويرمي حرقةَ التنهيدِ

أصواتَ العويلِ وما تعالى من حريقٍ

يأخذُ الأسماءَ من دنيا المنامِ

ما كانَ في أذهاننا أنَّ الحروبَ

تكسِّرُ التحنانَ في أصواتنا

ونصيرُ خيمةَ حرقةٍ فوقَ التذكّر

قربَ أسماءٍ تشوَّهَ حرفُها حتّى نسينا

عطرَ ذاكَ القمحِ في دربِ الصباحِ إلى الحمامِ

لمْ تبقَ أرضٌ في بلادي لم تعشْ جرحَ الخرابِ

وما بناهُ الحبُّ في روح المعابدِ والصدى

حينَ اهتدى وحشُ الديارِ إلى الأنوثة

قربَ آنية الجمالِ وسحرها

عندَ الأساطيرِ الّتي رفعتْ عيونَ الوجدِ

فارتاحَ الكلامُ إلى المقامِ

ليحلَّ في أوطاننا رمزُ الخلودِ

ويهبطَ الوحيُ المقدّسُ فوقها

وتروحُ تبني صوتها فوقَ العمارةِ والكلامِ

لم تبقَ أرضٌ خارجَ التهديمِ تروي جرحها

فنصيرُ دمعاً خائفاً في ظلِّهِ حزنُ المعاني

عندَ ساقيةِ المدامِ

واليومَ ضاعتْ في مهبِّ الريحِ

ما قالَ الطريقُ إلى الأماني

وارتدى ثوبَ السوادِ عيونَ فخَّارٍ

يصوّرُ رحلةً قمنا بها نحوَ الأماني

في دروبِ الوجدِ عشَّقاً لآلهة الغرامِ

كم أشتهي أن أُبعدَ الأوجاعَ في صدري

وارحلَ نحوَ أُغنيةِ الفراتِ وروحهِ

وأفيءَ قربَ الماءِ أسمعُ صوتَ أجدادي

وما تركَ الزمانُ من المواجعِ عندهم

لأصيح للريح الّتي حملتْ فضاءَ قصيدتي :

خذني إلى بيتٍ تحُوِّمُ فوقَهُ سربُ الطيورِ

وتهتدي بفضائه روحُ المحبّةِ

مثلما تمشي مياهُ النهرِ في صمتٍ

وتروي قمحَنا ما نامَ في أرواحنا

من فضّةِ الرغباتِ تكسرُ ظلَّها فوقَ المنام

خذني إلى صوتٍ يواسي ما تراكمَ في

دمي من لوثة الحرب الهزيلةِ

كي أزفَّ مواجعي في حضنهِ

وأنامُ قربَ الماءِ لا خوفٌ يراودني

ولا حلمٌ يكسِّرُ أضلعي

وأفيقُ من عشقٍ لأشعلَ موقدَ الشاي

الصباحيِّ المعطَّرِ بالندى

ويصيرَ في حضني ترابُ الأرضِ

أشتمُّ الطفولةَ واليمامَ وما قالتْ طلولٌ

أنتمي لفضائها من بابلِ العشتارِ

حتّى جرَّةِ الفخَّارِ في بصرى وما صنع

التكوّن في دروب الوجد من سرِّ الرخامِ

خذني إلى ما يوقظُ الطيرانَ في روحي

لأنسى حاضراً يجتاحُ أوردةَ الأماكن

ثمَّ يقطعُ حبلها السرِّي ، ملحَ الأرضِ

ما قالت شعوبٌ فوقَ مئذنة الكلامِ

وما صنعتْ حضاراتٌ على دربِ الحريرِ

رسائلَ العشَّاقِ في مشوارها نحوَ الغرامِ

خذني كأني طائرٌ يرمي عيونَ الوقتِ

في مرآتهِ ويكحّلُ الأوقاتَ ممّا تحملُ

الأرضُ السخيَّةُ من معاني الوجد

في هذا الختامِ

خذني إلى ما شئتَ من بلدي

فكلُّ مقامها وجعٌ

لأحلمَ علَّ في أحلامنا روحُ الطفولةِ

تهتدي لفضائنا وتعيدُ أرواحَ السلامِ

صيحةُ الفراتِ الأخيرة

وسمعتُ أنينَ الأرضِ على مرأى

من هذي الأثلامِ بروحي

كانت ْعاتبةً فلقد صارَ عليها حشدٌ

منْ بشرٍ لا يعرفُ معنى التربةِ أو

صوتَ اللوعةِ

يُمضي الوقتَ بلونِ سوادٍ

مثلَ عناكبَ ترقبُ أنْ تتسللَ موتاً

لفراشِ العشق فتنأى أحلام الجدرانْ

وسمعتُ ضفافَ النهرِ ، فراتَ الماءِ

تعاتبُ ظلِّي ، تبكي صبحاً ومساءً

حول الذكرى

فيفيضُ بقلبي عطرُ الأيامِ الأولى

حينَ أجيءُ إليها والشوقُ يسابق روحي

حتّى أتفيأ عندَ النهرِ وأشربَ شايَ الصبح

على دفقة عطرٍ ورديٍّ

وحنينُ الصوتِ يماشي جلستنا

فأغنِّي للفرحِ المسكونِ بروح النهرِ

لصوتِ حفيفِ الشجرِ الساكنِ

قربَ الماءِ دهوراً من عُمرِ الأزمانْ

فأعودُ لروحي الثكلى

فأنا قد رحتُ أُماشي العابرَ في ظلِّي

وتركتُ النهرَ وصوتَ الغَرَبَ الحادي

حتَّى طافتْ ألوانُ الظلمةِ فوقَ الماءِ

وعندَ بواطنِ دمعِ الأرضِ

فصارَ الغَرَبُ وقوداً للحربِ كما الإنسان

وصارتْ أصواتُ الموتِ عيوناً

تفتحُ بابَ الوقتِ وترسمُ الحانَ الشطآنْ

فأصيرُ إلى أيامٍ كنتُ أساكنُ روحَ فراتي

"غرّافَ" العزلةِ ، علِّي أهربُ

منْ هذا الوجعِ الساكنِ كلَّ مسارٍ

لكنَّ الوقتَ يحاصرني

فأصيرُ إلى دمعٍ يفتحُ بابَ الرؤيا

كي أرقصَ رقصَ حبارٍ

تسمعُ صوتَ الصقر

فتقعد في حضنِ الأحزانْ

ماذا أفعلُ والخوفُ يحاصرني

حتَّى جسدي صارَ غريباً عنِّي

هل أمضي في هذي العزلةِ

أم أتفيأ في ماضٍ يتبعني

يسكنُ أوصالَ الروحِ ويبعثُ فيَّ روائحَ

عشقٍ

ونوارسَ تغسلُ غيمَ القلبِ منَ الأدرانْ

ماذا والأرضُ يغطِّيها موتٌ

وشتاءٌ يقصمُ ظهرَ الغيمِ هنا

وأنينُ الناي يباشرُ أوقاتَ الروحِ

ونهري يرسلُ كلَّ صباحٍ

آخرَ أصواتِ الموتِ

وصايا لم يسمعْها أحدٌ

وبكاءُ الأرضِ على من راحوا في عزِّ شبابٍ

دونَ جنازاتٍ أو كفنٍ يسترُ جسدَ الأزمانْ

وإلى أيِّ مفازاتٍ أمضي ....

وبلادي مقبرةٌ ، كهفٌ يأوي محزونينَ

وصوتُ تراتيلِ الحزنِ تباكرُ

صبحَ الأوقاتِ دموعاً

وظلامٌ يأكلُ أقواسَ البيتِ ، حفيفَ الحورِ

دموعَ الحيرةِ في صوتِ رمادٍ ودخانْ

ماذا وأنا حينَ أفارقُ كفَّ الأرضِ

أدورُ كناقوسٍ في ظلِّ كنائس

ما عادتْ تعرفُ غيرَ العزلةِ

كي يكسرني وقتي كزجاجٍ يتناثرُ

فوقَ رصيفِ العزلةِ كالحبرِ الأسودِ

حينَ يضيعُ بجمرِ المعنى

ينداحُ كظلِّ الحسرةِ دونَ حكايا أو عنوان

وفراتي يبكي في وجعٍ ....

فلقدْ سرقوا تاريخَ مدائنه

أقواسَ النصرِ ب" ماري"

حتّى صارَ عراءً إلّا من موتٍ

يسكنُ غيمَ الأشكالِ

هواءَ الأسماءِ ، مفاتيحَ المعنى

والأرضُ عباءاتُ بكاءٍ

وتراتيلُ المدفنِ تنشدُ صبحاً ومساءً

حتّى صارتْ أسماءً للوقتِ وللإنسانْ

ماري تسألُ عن صوتِ المعنى

عمَّا كانَ وساماً للزمنِ الماضي

فيغيبُ الصوتُ ونسمعُ أحزانَ الآثارِ

تناشدُ أصواتَ الريحِ وما أبقى الدهرُ بعالمنا

فملوكُ الحضرةِ صاروا قطعاً

وكتاباتُ العهدِ شرائحَ تنّورٍ

وبيوتُ العزِّ تكسّرَ فيها مفتاحُ العلم

تخرَّبَ كلُّ طريقٍ في روحِ الأرضِ

فصارتْ خاصرةً تنزفُ جرحَ التحنانْ

وتسائلُ ما ذنبُ الأجدادِ بحاضرنا

كانَ الكشفُ عيوناً ومرايا ترسمُ عاشقَها

حتّى صاروا سفناً للرحلةِ نحوَ خلودِ المعنى

وموانئَ يرتاحُ الوجدُ بها

حتّى يخرجَ صمتُ الحبرِ ودمعِ الّلونِ

تصيرُ مدائنَ من فرحٍ فوقَ الجدرانْ

ماري" تستهدي بالباقي من طينِ الأرضِ

توزّعُ أشلاءَ الوقتِ على النسيانْ

فلعلَّ زماناً يأتي فيعيدُ لها طيفَ الماضي

بعضَ اللّونِ على الحيطان

الغرَّاف: مثل الناعورة يُرفع الماءُ بواسطته إلى الساقية.

ماري : إحدى أهم ممالك العصور القديمة، تقع على الفرات قـرب مدينة البوكمال

تل بيدر[1]

حلمٌ يداورني على مرأى من الطلقاتِ

أصواتِ المدافعِ ما تراكم من عيون

القتل في أنحائنا

حلمٌ يروحُ إلى الشبابِ

بما تجلَّى في عيون الوقتِ ساعتها

فكأنَّ دقّاتِ الحقيقة تومضُ للصدى

ولما تبقّى من عيون الّليلِ في أصواتنا

---

(١) قرية تقع شمالي مدينة الحسكة على طريق الدرباسية.

هيَ نشوةٌ يومَ ارتحلتُ إلى الجزيرةِ في الشمالِ

وكنتُ معلِّماً أخطو إلى درجِ المعارفِ قِبلةً

في قريةٍ طينيةٍ لا تهتدي دنيا العواصمِ

للمساءِ بروحها

وبقيتُ فيها مدةً أشتمُّ من

دنيا البساطةِ عمقَها

منْ همسةِ القصص الصغيرةِ دفئَها

من صوتِ عاشقةٍ تربِّي روحَها عند الحنينِ

فينتشي عشقاً على طيفِ العيونِ

وما تندَّى عندها

فتهيم أصواتُ الغناءِ بلمحها

-١٣٦-

ويصيرُ سرُّ الصبحِ يوقظُ

الكلماتِ في أشعارها

واليومَ تومضُ في المنام إشارةً

فكأنّها تقتاتُ من ماضي التذكّرِ

كي تؤانسَ وحشةَ الساعاتِ

ما صارتْ به مدنُ القتالِ من الجحيم

على موانئ شالها

وكأنّها ترمي إليَّ رسالةً

فلقد سمعتُ أنينها ينسابُ من صور الفضاءِ

ومن كلامٍ يرتمي فوقَ الصحافةِ

مثلَ ناقوسٍ يوزِّعُ حزنهُ فوقَ الأعالي

في دروبِ بكائها

وسمعتُ أنَّ الوحشَ يكسرُ دورةّ العاداتِ

ناموسَ المعاني عندها

ويبدِّلُ الأعرافَ مئذنةَ الكلامِ

صباحَ قهوتها ، روائحَ هالها وغنائها

حلمٌ يباغتني على مرأى من النسيانِ

بعدما حوصرتُ من كلِّ الجهاتِ

وصارتِ الأحلامُ من زمنٍ تقادمَ في الزمانِ

وبعثرتْ أصواتهُ دنيا الضبابِ

جروحَ هذا الوقتِ في زمنِ التلاشي

والفناءِ

حلمٌ يعيدُ الروحَ أزماناً

ليكتبَ جرحَهُ فوقَ المعابرِ والفصولِ

وما تمادى فوقنا من صوتِ آلهةِ المجازرِ

في الشوارعِ فوقَ أبراجِ التنبىء

كي نكونَ كما أرادوا

خارجَ التكوينِ في زمنِ الغناءِ

حلمٌ يعيدُ الروحَ جوهرةً لأصواتِ الشبابِ

تهيمُ في عشقٍ وتنسى وقتها

وتعيش أفراحاً كأنَّ الكونَ يبدأ من أصابعها

على مرأى مرورِ الوقتِ في دنيا

البساطةِ والسلامِ

ودورةِ الأحوالِ في ذاكَ البهاءِ

حلمٌ يعيدُ الروحَ للبشرِ الذين بصوتهم

يرتاحُ وجدُ الحبِّ واللُّقْيَا بنا

يمشونَ في أيامهم نحوَ الحقيقةِ

مثلَ قانونِ الطبيعةِ

صوتُهم يعلو فنسمعُ دورةَ الكلماتِ عاريةً

عطورَ الوردِ

أجراسَ الكلام، عبورَها نحو المدى

فكأنها دربُ الصفاءِ إلى السماءِ

حلمٌ يعيد إليّ مشوارَ الدقائقِ

منذُ فجرِ الله حتّى ساعةِ النومِ الجميلةِ

في الصفاءِ

في كلِّ يومٍ نجلسُ الساعاتِ

عندَ مضافةِ المختارِ

نسمعُ صوتَنا ،

ما صار عندَ الماءِ من قصصٍ

وما فاضتْ به الأوقاتُ من أخبارهم

وننامُ في دعةٍ بلا خوفٍ

يكسِّرُ ضلعَنا عندَ الصباحِ

وما قد يتركُ البارودُ في جرحِ الهواءِ

حلمٌ يداعبُ آخرَ الأعماقِ في روحي

وفي وجدِ القصيدةِ والكلامِ

فتنثني فيَّ الرغائبُ كي أنامَ

لعلَّ صوتَ الحلمِ يرجعُ كي أعيشَ كما أريدُ

وتهربُ الساعاتُ من وقتي ومن خوفي

وأسمعُ من صدى الأيامِ

ما قالتْ بنفسجةٌ لجارتها

وما همستْ عيونُ الصبحِ في فنجانها

من بسمةٍ تُعلي سماءَ الروحِ

في مشوارها نحوَ الهناءِ

ويظلُّ صوتُ الحلمِ يوقظُني

على أيَّامنا السوداءِ في هذا البلاءِ

تلويحة لروح السنديان

شجرٌ وأصواتٌ منَ الذكرى تفرُّ الآنَ من عيني

لأسمعَ صوتَها قربي يدندنُ دورةَ الأوجاعِ

مثلَ يمامةٍ فقدتْ مرافئَها

وصارتْ في صدى الآهاتِ راحلةً

إلى أُفقِ القصيدةِ في البعيدِ

فلقدْ رأيتُ عيونَ أحزانِ الطبيعةِ

تندهُ الأهلينَ، زوّارَ الحنينِ

ليبْعِدُوا عنْ ظلِّها هذا الدمارَ

وسارقَ الأشجارِ منْ أفيائها

حتَّى ارتدى هذا المدى لونَ السوادِ

تفجَّرتْ في روحهِ دنيا الخريفِ

وصارتِ النايات ألوانَ النشيدِ

ورأيتُ فيها هزَّني جِذْعَاً جميلاً من صفاءِ السنديانِ

ومنْ تسمَّتْ باسمهِ تلك الجبالُ

على المواقدِ ينثني في ذاتهِ

حتَّى يصيرَ إلى الرمادِ

كأنهُ جسدُ الأنوثةِ يحتمي في حضنهِ

دربُ الحنانِ شقائقاً

ويصيرَ في أُفقِ الوقودِ

السنديانُ الآنَ يغفو في رمادِ الوقتِ

مثلَ جنازةٍ ترنو إلى قبرِ النهايةِ

بعدما سقطتْ منَ الآفاقِ وارتحلتْ تودِّعُ أرضَها

لمْ يبقَ منْ زهوِ الشجيراتِ الجميلةِ

غيرُ أوراقٍ تناثرَ ظلُّها قربَ المواقدِ

كي تودِّعَ ما تبقَّى قربَنا من نرجسِ الأوقاتِ

أحلامِ الوجودِ

السنديانُ الآنَ يرفعُ شارةَ الدمعِ الأخيرةَ

دورةَ الأبراجِ ، أصواتَ الحنانِ

وما تبقَّى من هواءٍ عالقٍ فوقَ الحناجرِ

في دموعِ النسرِ ترمي صرخةَ الأوقاتِ

من غولٍ يفاجئ لثغةَ الطيرِ الجميلةَ

في عيونِ السنديانِ وما تحلَّقَ فوقها من غيمةٍ

تُهْدي عناصرَها لأسماءِ القصيدِ

السنديانُ الآنَ يكسرني على بابِ التذكّرِ

حينَ أروحُ في أفيائها كي أهتدي لفخاخي الصغرى

وهل صادتْ منَ الشحرورِ ما يكفي

لأعلنَ صوتيَ العالي على أفقِ البيوتِ

أصيرُ فيها فارساً يجتاح آفاقَ الحدودِ

السندياننُ الآنَ يأخذني لأسمعَ صوتَ عاشقتي

وما قالتْ أصابعُ حينَ ترسمُ لوعةَ الأحبابِ

أشكالاً وألواناً وتسري في دمي صوتاً

يعيدُ الروحَ للمعنى بذاكرتي

فأصعدُ للمدى فيها ، وأفيءُ في أحضانها

مثلَ الحنانِ مناجياً أشواقنا في دمعةٍ

تجتاحُ أسرارَ الملوحةِ ، صرخةَ الأجسادِ عاليةً

تفاصيلَ الحكايةِ من زمانِ الوعي في أسرارنا

حتّى الجدودِ

ورأيتُ جِذعَ السنديانِ بصوتهِ المهموسِ

يخفي ظلَّنا حتّى كأنَّا خارجَ الأوقاتِ

نمضي نحوَ نشوتنا ، وتسكنُ في ظلال الوجدِ

أمطارٌ تنقِّي حبَّنا من لوثةِ الأشكالِ

حتّى نرتقي روحاً يعانقُ سرَّ أسرارِ الخلودِ

وسمعتُ أنفاسَ الطبيعةِ حينَ تسألُ شوقَنا

هل كانَ عشقُ الوجدِ من صوفيَّةٍ

وظلالِها من دربِ "ماني" مخطئاً

حينَ ارتأى أنَّ الإلهَ وصورةَ الرحمنِ

تسري في دمِ الأكوانِ ما قالتهُ أوراقٌ

برائحةِ البخور وما تجلَّى في نداءِ الريحِ أمواجاً

وبسمةِ دربنا عندَ الصباحِ، ودورةِ الأنفاسِ صاعدةً

إلى أفقِ المدائنِ حينَ يصرخُ وجدُها بدمِ الوريدِ

لأقولَ إنَّ الأرض تندهُ جرحَنا

فمتى نعيدُ حضورَ أطفالِ الشجيراتِ الجميلةِ

نحتفي بسمائها وتزيِّنُ الأوقاتِ في أصوتنا

ومتى نصدِّقُ أنَّ أرواح الوجودِ بروحنا

مثلُ المياهِ وصوتِ ذاكَ الريحِ، ألوانِ الترابِ

وما تعالى من دموعٍ فوقنا

لنكونَ جزءَاً صادقاً يمشي إلى روح الحياةِ

ويرتدي أسماءنا لحناً على إيقاعِ عودِ

ونعيدَ موجاتِ الصفاءِ لعلَّنا نمشي إلى أرواحنا بشراً

ينامُ الحلمُ في أسمائهم طفلاً، ضفافاً

لا يخافُ العتمَ في مشوارهِ

ويظلَّ في أشواقهِ حبّاً

يزنِّرُ دورةَ الطرقاتِ موّالَ البريدِ

احتفال مسرحي

عمّا قليلٍ سوفَ أرفعُ شارةَ البدءِ البطيئةِ

لاحتفال الروحِ في يومِ المسارحِ

أحتفي بمدى الزمانِ على الأصابعِ هاهنا

وأقيمُ منْ تلكَ الممالكِ شمعةً أرنو إليها

مثلما تمتدُّ عينُ الشمسِ من خلفِ السحابِ

فهناكَ عندَ دوائرِ المعنى وفوقَ جروحِ ميناءِ المنصَّةِ

تجلسُ الآهاتُ من زمنٍ يمرُّ على المواجعِ فوقنا

وهناكَ قربي كأسيَ الأخرى الّتي انتظرتْ

عبورَ الطيرِ في أصواتنا نحوَ الإيابِ

عمَّا قليلٍ سوفَ أرفعُ سقفَ ساريتي

لأصرخَ بالمدى... كيفَ ارتضى

أن يعبرَ الهكسوسُ أرضَ العزِّ في "بُصْرى"

وينأى عن عيوني سهلُها وفضاؤُها

وروائحُ الأوقاتِ في سهلِ حورانَ الجميلِ

عمَّا قليلٍ سوفَ أصرخُ للغيابِ

بكلِّ ما أوتيتُ من وجعِ الحضورِ

ودربهِ فوقَ التذكّر

ما تعتّقَ في الحجارةِ من صدى فيروز في المعنى

المسافرِ للجنوبِ ، إلى الأصابعِ حينَ تنقشُ

وجدَها فوقَ المدرَّجِ

حينَ يعجزُ شاعرٌ أنْ يحضنَ الأقواسَ في مرآتها

ويصوّرَ الأكوانَ في ذاكَ الهديلِ

كانتْ مسارحُ دولةِ الرومانِ تُبعثُ من جديدٍ عندنا

فيطيرُ في أرجائها طيرٌ منَ الفينيقِ

يرسمُ في هواءِ الوقتِ ما قالتهُ أنثى للمكانِ

وما تربَّعَ فوقَ أسماءِ الحياةِ

فصوتُ فيروزَ المسافرَ يوقظُ المعنى

ويتركُ في الدماءِ نشيدَها فوقَ الحجارةِ

عندَ أبوابِ المنافذِ ما تعالى من رياحِ

الصوتِ في أرواحنا قربَ العبورِ إلى الصهيلِ

كانوا هناكَ وكنتُ أجلسُ مثلَ مرآةٍ تفتَّحَ لونُها

لأشمَّ من أصواتِهم لونَ الحياةِ

صنوفَ أنواعِ الزهورِ ورحلةَ الإبحارِ فينا

كما تصوِّرُها دروبٌ تزرعُ النعناعَ في قُمصانِها

وتعلِّمُ اللِّبلابَ أسرارَ الحلولِ

كنَّا نواعدُ مسرحَ البصرى لنمشي للغناءِ

تزفُّنا أسطورةُ العشقِ المقيم بروحنا

ويلفُّنا جسدُ الحنينِ وزهرةُ اللّوزِ

الحكايا من نوافذَ أدمنتْ لغةَ العصورِ

فصفَّقَ الوجدُ المحلِّقُ في الأماسي فوقَنا

نحوَ الكلامِ

وعلى نوافذِ مسرحِ البصرى

تضاءُ الروحُ في عرباتها فتجيء عاشقةً

إلى مشوارها وكأنها سحرُ التكوّنِ

ينثني في بسمةٍ وتلمُّ أحجارُ المدينة

صوتَها عندَ السلامِ

وهناكَ في دَرجِ الزهورِ على مرافئ وقتنا

تنأى بنا الأوقاتُ حتّى نحتمي بفضائها

فوقَ النجومِ نحسُّ أنَّ العمرَ يسبحُ هاهنا

فيضاءُ في أصواتنا عشقُ الحمامِ

كمْ منْ زمانٍ كنتُ أنتظرُ البشارةَ

كي أرى فيها عيونَ الأصدقاءِ

فضاءَ أحلامِ المساءِ يزفُّنا سرباً فسرباً

نحوَ عاصمةِ الجنوبِ

ومن تصارعَ في مسارحها

ألوفٌ من ذوي العضلاتِ

كي يرموا سهامَ القتلِ صارخةً على أجسادهم

ثمَّ ارتدتْ يوماً ثيابَ المعبدِ الكهنوتِ

حتّى صارتِ الآفاقُ ترحلُ نحوَ سُدرتها

ومتَّسعُ الأماني في ضياءِ نوالها

كمْ منْ زمانٍ كانَ يحملنا لنوقظَ روحَنا

فوقَ المدارجِ، نسمعُ الألحانَ

آفاقَ التجلّي، عشقَنا، ونرممُ المكسورَ من أصواتنا

فكأننا في معبدِ الهندوسِ نسبحُ في فضاء اللَّحنِ

متَّسعَ المدى، فأمامَنا صوتٌ لفيروزِ السماءِ

وراءَنا طرقُ البخورِ، حريرُ رائحةِ الورودِ

تهبُّ من طرقِ الزمانِ

كأنّني ما زلتُ أسمعُ همسَهم فوقَ الحجارةِ

يومئونَ ويرفعونَ إلى المعاني في انتصار

الروح سرَّ جمالها

كمْ من زمانٍ مرَّ كنَّا نرفعُ الشاراتِ

للرومانِ في أعمالهم فوجودهم يمشي إلى

روحِ الرخامِ لينصبوا فوقَ الحجارةِ

قوَّةً تجتاحُ أسماءَ البلادِ وعمقَها

لكنَّ فينا من عيونِ الفنِّ من دوراتِ " بابل"

ما يجمِّلُ سيرةَ الأزمانِ آفاقاً

لتمشي في النشيدِ إلى غموضٍ يحتوينا

عندَ أثلامِ المدرَّجِ ، لوثةِ الرومانِ في بصرى

فينسجُ فوقها أفقَ النشيدِ على ضياءِ حبالها

واليومَ يرحلُ في دمي صوتُ البكاءِ

كأنّني في عالمِ الصحراءِ يرمينا سرابُ الوقتِ أشتاتاً

يزنّرُ دورةَ الأوقاتِ ، يعطيها ظلالَ الموتِ

مئذنةَ التوهّمِ والخرابِ

فأصيرُ عندَ هواجسي مثلَ الملوحةِ

تشربُ الأنفاقَ في جرحي وتسكنُ صورةً

كنَّا بها نسمو إلى أفقِ الطفولةِ والمدى

نصطادُ أحلامَ الحمائمِ مثلما تمشي

زهورُ الّلوز في خدِّ الصبيّةِ

ننحني لنزفَّ من آفاقِ أرغفةِ الشعيرِ دروبَنا

ونحمِّلَ الأرضَ الجميلةَ رغبةَ الإنشاد

في مشوارهِ نحوَ الإيابِ

لأصيرَ غصناً في هواءٍ يابسٍ

يرمي إلى هذي المدائنِ زهرةَ الدفلى

غيابَ الوقتِ في أسمائنا عندَ السرابِ

لأصيحَ ثانيةً: أعدني للرعاةِ لما تبقّى

من حقولِ القمحِ في تلكَ البلادِ

لعلَّ ذاكرةً تضيءُ دروبَنا

فنسيرُ نحوَ فضائنا الموعودِ

تنهضُ دورةُ الأسماءِ ثانيةً على أفقِ الكتابِ

٢٧/ ٣/ ٢٠١٥

اليوم العالمي للمسرح

سلطانُ ا لحقيقة بيننا

(رسالة إلى سلطان باشا الأطرش**)**

في زحمةِ الأحداثِ والأصواتِ ، أوديةِ البكاءِ بروحنا

ترمي مناراتُ السؤالِ عيونَها فوقَ القصيدةِ والكلامِ

فيروحُ شاعرُنا ليبحثَ عنْ دروبٍ

يحتمي فيها المساءُ ، تضيءُ الوقتَ منْ أسوارنا

وتكونُ مئذنةَ المدى

صوتاً على آفاقهِ ترنو الحوادثُ، زحمةَ التاريخِ

ما أبقتْ ضلوعُ الوقتِ منْ شجرٍ يئنُ

ويرتمي نوحاً كأصواتِ الحمامِ

فيشعُّ صوتٌ منْ جبالِ العُربِ

مرفوعاً على قيمِ الرجولةِ

يقرأُ الأوقات ، يدركُ سرَّها

ليصيرَ سلطاناً على أفقِ المعاني

ما تنادى الريحُ في روحِ السلامِ

في زحمةِ الأحداثِ نفتحُ صبحَنا بنشيدك العالي

بمدى البطولةِ حينَ تملي شرطَها

وتصيرُ شمساً يهتدي فيها الرجالُ إلى التكوّنِ والغمامِ

سلطانُ باشا يعتلي دنيا الشجاعةِ

يحتمي بمدى الرجولةِ

يهربُ الأعداءُ من أسمائهِ

حتّى ترى دربَ الجبالِ يمورُ في أصواتهم عندَ الخيامِ

مازلتَ سلطاناً ببابِ الوجدِ

حينَ يفيضُ بي تعبٌ وأكرهُ الساعاتِ

ميلادَ النهارِ بظلِّنا

لأرى بأنكَ ترفعُ المعنى كقبَّةِ صخرةِ القدسِ الجميلةِ

ثمَّ ترسمُ فوقهُ شمساً تضيءُ الحاضرَ العبثيَّ

في هذا الضبابِ

مازلتَ سلطانَ البطولةِ يا أبي

كي ننحني شوقناً لأيامٍ رسمتَ حبورَها

فوقَ البلادِ لتوقظَ الغافي بأرواحِ الزمانِ

امتدادَ الأرضِ في ملكوتها

ليصيرَ فيها موعدُ العشّاقِ ثانيةً

بذاكرةِ العتابِ

مازلتَ منظارَ الحقيقةِ يهتدي من دورةِ الأبراجِ فيها

من تعالى عن فتاتِ الأرضِ والأشياءِ

كي يسري إلى بوحِ النخيلِ

عطورِ أغنيةِ الأماني ظلِّها فوقَ الخلودِ

وعند أحلامِ الترابِ

ما زلتَ مفتاحاً لأحلامٍ تنامُ بصدرنا منذُ الطفولةِ

عندَ ساقيةِ الأماني فوقَنا

كي يهمسَ الوقتُ المسافرُ في الترقّبِ

أننا صرنا كتاباً حاضراً

فليقرأ الغادونَ ألوانَ العبورِ إلى الخلودِ

ودفقةَ الرؤيا بعيداً عن ظلامِ الوقتِ

في هذا السرابِ

ما زلتَ ريحاً يدركُ الأعداءُ أنَّ أمامَهم

سلطانَ كلِّ الوقتِ، يوقدُ دربَهم بالموتِ

حتّى يصبحَ الهربُ الطريقَ إلى منافيهم

وما أوصتهُ ذاكرةُ الغيابِ

ما زلتَ نبعاً يوقظُ الغافينَ في أسمائهم

كي يكسروا وقتَ النعاسِ ويرحلوا نحوَ البطولةِ

مثلما تمشي العطورُ إلى الزهورِ

ويرتدي هذا الهواءُ صراخَنا

الموعودَ في عزِّ الخرابِ

ما زلتَ تكتبُ دورةَ التاريخِ في أوراقنا

وتعلِّمُ الغيمَ المسافرَ أنْ يصيرَ إلى البلادِ

لينهضَ الزيتونُ أخضرَ

مثلما كانتْ يداكَ على جبينِ الوقتِ

في عزِّ الظهيرةِ والرواحِ

ما زلتَ ترسمُ في عيونِ الزهرِ لونَ الحبِّ

كي تروي لأرضِ اللهِ أنَّ الشعرَ

يكتبُ حرفَهُ بدمِ الشهادةِ

ما تعالى عندَ أصواتِ البصيرةِ والجراحِ

ما زلتَ سلطاناً فكيفَ أروحُ من زمني

وصوتُ الموتِ في أرجاءِ خاصرتي

وما شعَّتْ بلادٌ من جنوبٍ أو شمالٍ

عندَ أغنيةِ الحصادِ وفوقَ دربِ الماءِ

موصولاً إلى فتوى تبيحُ القتلَ محميّاً بصوتٍ

يرتدي الذبحَ الحلالَ

وشرعُهُ تكبيرةٌ فوقَ الرماحِ

فيجيءُ صوتٌ من صدى الآفاق يومضُ فجأةً

وسمعتُ ألحاناً تفيضُ بروحنا

ما قالهُ سلطانُنا عندَ الخلودِ

يجيءُ مثلَ البرقِ في دمعِ الظهيرةِ صادحاً:

كيفَ ارتضيتمْ أنْ يصيرَ الوقتُ موتاً

بعدما قلنا لنبضِ الأرضِ أن يسمو

إلى أفقِ المعاني والكلامِ

ورأيتُ دمعةَ حزنهِ قربي

تضيءُ الليلَ في هذا المنامِ

فسكتُّ قربَ قصيدتي علِّي أعيدُ الروحَ

في صوتِ الحطامِ

ليجيءَ ما صرنا إليهِ منَ المواجعِ والصدى

فإذا بدمعِ الروحِ يرسمُ وقْتَنا

في دورةِ الآلام ، آفاقِ الظلامِ

فاقرأ علينا من جديدٍ سورةً

نحيا بها عندَ الكرامةِ

مثلما كانت دروبُك في الإيابِ

واقرأ على أيامنا السوداءِ بعضاً من رؤاكَ

لعلَّ هواءَها يسري فيوقظُ غافياً

ونعودُ مثلَ الريحِ يدركُ دربَهُ فينا

فيمسي الوقتُ ذاكرةً تضيءُ بصوتها

أفقَ المعاني، ثمَّ تفتحُ روحَها نوراً

يوسِّعُ حلمَنا في عودةِ الدنيا سلاماً

يرفعُ المعنى على أفقِ الكتابِ

وارفعْ يديكَ اليومَ درباً

كي تصيرَ عباءتي ظلَّ الغيومِ

فأبصرَ التكوينَ ، ما قالتْ سمائي من جديدٍ

علَّني أمشي إلى أملٍ

يكونُ بصوتهِ وجهُ الحقيقةِ والبلادِ

وارفعْ يديكَ اليومَ يا سلطانَنا

كي نبصرَ الأوقات في زمنِ الحدادِ

ونرممَ الأسماءَ في عليائنا،

ونصيرَ أفقاً

مثلما كنّا بذاكرةِ البوادي

١١-٤-٢٠١٥

صوت من قوارب الموت

خرجوا صباحاً مثلَ فجرٍ يهتدي بسمائهِ

ركبوا قواربَهم على مرأى من الساعاتِ

في أصواتهم جرحُ السؤالِ ولوعةُ الترحالِ

ما أبقى الزمانُ منَ المواجعِ فوقَهم

ما صارَ في أسمائهم من حرقةٍ

تمتدُّ للأفقِ البعيدِ

خرجوا لينهضَ من جديدٍ أُفقُهم فوقَ الأصابعِ والمدى

وليفرحوا مثلَ البقيَّةِ في ديارِ الله

في هذا الزمانِ الصعبِ من شهر نيسانَ الجميلِ

وصوتهِ فوقَ الزهورِ ، روائحِ اللَّيمونِ

ما أوصاهُ دربُ النحلِ من لغةٍ على أفقِ النشيدِ

خرجوا ليفرحَ وجدُهم

ما قالهُ طفلٌ على طرفِ الرصيفِ

وروحُهم فوقَ التذكّرِ

في سماءِ الحبِّ في ليلِ الورودِ

خرجوا على ليلِ القواربِ

صوتُهم خوفٌ ، ورعدٌ يرتدي دنيا الهواءِ

وفوقَهم أمطارُ نيسانَ

الّتي هربت مساءً من عيونِ البحرِ

تسبقُ ظلَّها فوقَ الأكفِّ

وقربَ ساريةِ الوعودِ

خرجوا برفقةِ دمعهم لم يتركوا غير الصدى، لغةَ الحنينِ

تأبطوا أسماءَهم ، أطفالَهم عندَ التثاؤبِ والبكاءِ

ليرسموا فوقَ المقاعدِ جمرةَ الذكرى

وما نادتهُ ألسنةُ الترقّبِ من بكاءٍ فوقَ

ساريةِ العيونِ ، كأنَّها لغةُ البريدِ

لم يحملوا من جمرهم غيرَ التأوهِ

في مراكبَ أدمنتْ لغةَ المواتِ

وتاجرتْ في روحهم علناً على مرأى

منَ الدولِ العظيمةِ والحضارةِ

واجتيازِ الوقتِ نحوَ فضائهِ عندَ النجومِ

وما تراءى عندَ أقدامِ الوجودِ

قالوا سنكملُ دورةِ المعنى على كتفِ التجاربِ

هلْ بُعثنا عنصراً في قامةِ القربانِ أوسمةً

على مرأى من الأقدارِ؟؟

فلنمشِ الصبيحةَ مثلما شاءت لنا

وتسابقتْ دنيا العواصفِ ، صارتِ الأمطارُ وحشاً

يأخذُ الأقواسَ نحوَ مسافةٍ أخرى

وينسى صوتنا المبحوحُ في هذا الزحامِ

كنَّا نلفُّ جدائلَ الوقتِ الطويلِ

على مرايا الماءِ في عزِّ الظهيرةِ

والمدى ماءٌ وملحٌ فوقنا

ماذا فعلنا كي نعاقبَ هاهنا

قربَ الرحيلِ وصوتهِ المجروحِ في دنيا الكلامِ ؟؟؟

كنَّا نحبُّ الأرضَ والصبحَ النديَّ

رسائلَ العشَّاقِ ما قالتْ طيورٌ للقرنفلِ في حدائقنا

وكنَّا نحتمي بمدى البيوتِ ، سمائها، ظلَّ الحمامِ

لكنها الأوقاتُ تصرخُ فوقنا

وأزيزُها خلعَ النوافذَ وارتدى صوتَ الحروبِ

فدارتِ الأوقاتُ نحوَ مصيرنا

صرنا حفاةً نقتفي دربَ النجاةِ

وأرضَهُ عندَ السلامِ

ماذا فعلنا كي نكونَ كأننا أسرى

يحاصرنا سياجٌ عندَ أقبيةِ البيوتِ

وفوقَنا خوفٌ كرائحةِ المنافي هاهنا

هوَ حلمُنا... دربُ الوصولِ إلى السواحلِ

في بلادِ الغربِ كي نمشي إلى أصواتنا

مثلَ الطبيعةِ، ما استفاقَ من العطورِ

على أرائكِ ظلَّنا قربَ المنامِ

لكنها الأمواجُ تلعبُ في مراكبَ أدمنتْ لغةَ المواتِ

ودورةِ الآهاتِ في عبِّ المياهِ

وحمَّلت أجسادنا مثلَ البضاعةِ

في ممرِّ الموتِ في دنيا الوعودِ

لكنَّها الأحلامُ تأخذُ صوتَنا

لنقولَ: قدْ نصلُ الموانئ ثمَّ نمشي

نحوَ ذاك السهلِ نبني روحنا

هوَ حلمنا أنْ تهربَ الساعاتُ

من أصواتِ هذا الماءِ

والملحِ المقيمِ على شفاهِ الوقتِ

والظهرِ المقوَّسِ والمدى

في حضننا ما كانَ في أرواحنا

من زهرةِ اللّيمونِ والذكرى

وصوتٌ خافتٌ يدعو لغاتَ الله أن تحمي قوافلَنا

نداءَ الروحِ في صوتِ الوريدِ

وعيوننا مثلَ الوميضِ تروحُ نحوَ الأفقِ

علَّ مدائنَ الأحلامِ تظهرُ صوبنا

أينَ الطيورُ وهدهدُ الأوقاتِ

كي يرمي إلينا منقذاً

لاشيء إلّا الماء يسكبُ فوقنا وجعاً

ويرمي دربنا بمدى العويلِ

ورحلةِ العبثِ المسافرِ في الوجودِ

تعبَ الصدى من كثرِ أدعيةٍ ، نذورٍ

ما ضاعَ من قاموسنا

ما رفَّ فوقَ ندائنا من فسحةٍ للعيشِ

فِي ظلِّ الكرامةِ بعدما نامتْ على أصواتنا

مدنُ الحروبِ وكسَّرتْ أضلاعَنا بدمِ القيودِ

ماءٌ يحاصرنا وماءٌ يكتبُ الآنَ الوصايا

يا بحرُ إنّا قد أتينا كي نسافرَ نحوَ

أصواتِ الحضارةِ ، هاربينَ منَ الجحيمِ

ودورةِ القتل الكبيرةِ ، فاستمعْ لندائنا

خذنا إلى ما نشتهي

وارحمْ دموعَ الأمهاتِ وصوتَ أطفالٍ على

طرفِ السفينةِ غارقينَ بحلمهم

وبصوتِ آباءٍ يرنُّ بروحهم دربٌ

تمثّلَ في الجديدِ

واحملْ دروبَ الروحِ نحوَ فَراشها

فلعلَّ ذاكرةً تضيءُ وتفتحُ الأسماءَ أنهاراً

منَ الوجدِ الجميلِ

يا بحرُ قدْ جئنا على حلمِ العبورِ وفضَّةِ الأوقاتِ

لم نتركْ بعينِ الوقتِ غيرَ قصائدِ الغيَّابِ

أسماءَ الّذينَ تسابقوا للموتِ حتّى زارهم

قربَ الترابِ ، فكحّلوا دربَ الحياةِ بصوتهم أفقاً

فصاروا الحبَّ في المعنى الجليلِ

يا بحرُ إنّا قد هربنا من عيونِ القتلِ والإذلالِ

حتّى نحتمي بفضائك العالي

ونمشي نحوَ أخلاقِ الحياةِ

وما تراكمَ عندنا من نخوةٍ

ترمي مداها عندَ أصواتِ الطريقِ

وقهوةِ الإصباحِ ، ذاكرةِ البريقِ

يا بحرُ هذي روحُنا طارتْ إلى أملٍ

فجمِّل وقتَنا ممّا تبدّى

في عبورِ اللّيل أسماءِ الحريقِ

كنّا على أفقِ القناعةِ نزرعُ دربنا

من صوتِ أحلامٍ تسيِّجُ ظلّنا

ونروحُ نحوَ الأرضِ نبني للحمامةِ سلّماً

نحوَ الجمالِ

نفيءُ قمحاً ، نقتفي سرَّ الصباحِ وضوءَه

دربَ الأماني ، مثلما تمشي إلى الأنهار

قافلةُ القطا

ونرتِّل الإنشادَ عندَ بزوغنا تحتَ العريشةِ

نسمعُ الأخبارَ ما فاضتْ بهِ صورُ المدائنِ

ثمَّ نمضي للحياة ، نزورُ آفاقَ الزهورِ

سنابلَ القمحِ الطريّةِ ، نعتني بفضائنا:

من جدولِ الماءِ السريعِ وفضّةِ الحور الكبيرةِ فوقنا

حتّى دجاجاتٍ تنامُ بقربنا عندَ الحظيرةِ والهواءِ

لم نقترفْ إثماً وكنّا نرفعُ الخطواتِ نحوَ طريقها

عندَ التسامحِ والمحبّة والندى

وفُجاءةً صرنا نسيجَ الموتِ

في هذا الدمارِ، وصارت الأوقاتُ

ناراً تلسعُ الآفاقَ فينا

ما تبدّى من نوافذنا على صوتِ الدماءِ

وفُجاءةً صرنا دموعَ الوقتِ نرقبُ موتنا

وتتالتِ الأخبارُ حتّى دبَّ ليلُ الخوفِ

في أرواحنا قربَ المواقدِ والعناءِ

فتسابقتْ فينا الطريقُ وليلنا

ها نحنُ فوقَ الماءِ في أصواتنا لهفٌ

وما بينَ العيونِ تسيرُ ملهاةُ الحياة على الأصابعِ

مثلما تمشي على أيّامنا لغةُ الجنونِ

ودروبنا تمتدُّ في هذا السرابِ

لعلَّ آلهةً تمدُّ عيونها

وتزيلُ من أسمائنا دمعَ المنافي

أو صراخاً راح يعلو فوقَ أمداءِ العيونِ

لكنَّ صوتَ الماءِ يعلو ثمَّ يعلو

رافعاً مرساتنا صوبَ التوسّلِ والهدى

لنكونَ غرقى في نداءِ الصبحِ

نطفو فوقَ سطحِ الماءِ

لا يبقى على أمواجِهِ غيرُ الأصابعِ

تحتمي بندائها قربَ المنونِ

والآن في غبشِ الصباحِ وقد تبخّرَ كلُّ شيءٍ

ماعدا بردٌ يسوِّرُ ظلَّنا

يكسو عظامَ الروح في هذا السفرْ

وفحيحُ صوتٍ صاعدٍ من دمعةِ الذكرى

كأنَّ عبورَها جرحُ القمرْ

ويجيءُ صوتٌ من سما الأخبار

يعلنُ فجأةً:

إنَّ القوافلَ في مياهِ البحرِ قدْ ماتتْ

على الأمواج ثانيةً

ولمْ تُنقذ رياحُ البحرِ أجساداً

سوى صوتٍ يئنُّ بحرقةٍ

ويغيبُ في لمحِ البصرْ

غربة الشاعر

إلى الشاعر حسّان الجودي[1]

في بهوِ المبنى وفضاءُ العينِ مشاريعُ بناءٍ وجسورٍ

حيثُ تقيمُ الفكرةُ منزلَهَا للضوءِ

وتبني درباً لعبورِ اللهفةِ نحوَ فضاءِ الشوقِ سلاماً

أوقفني شاعرنا قربَ المعنى

(١) الشاعر حسان الجودي أستاذ جامعي يحمل شهادة الدكتوراه في الهندسة المدنية. والمقصود بالمبنى هو كلية الهندسة المدنية التي كان يدرس فيها في جامعة البعث في حمص.

لأرى أوراقَ العمرِ وأمشي مثلَ سرابٍ

يخطو فوقَ رصيفِ الوقتِ

وينظرُ نحوَ دخانِ الموتِ

كغيمٍ فوقَ الأمداءْ

ليسائلَ روحي قلقا

ولماذا روح الشاعر يستوطن منفاه بعيداً مثل الغيمِ

تصيرُ عيونُ الصبّارِ مرايا

نافذةً تأخذُ دربَ الريحِ إلي بلدٍ

يكبو فوقَ الحربِ ، ينامُ بقهرِ الصوتِ

غبارِ الفتنةِ والأنواءْ

فأباعدُ بينَ الدمعةِ في ظلّي

وجهاتِ الموتِ وأرمي حسرةَ وجدٍ

فوقَ أصابعَ لا تلمسُ غيرَ الوحدةِ فينا خزفاً

وقلوباً صارتْ نايَ حنينٍ

لصديقٍ يغفو فوقَ الغربةِ

يصطادُ عيونَ الشعرِ ويبكي حرقتهُ

عندَ غروبٍ يأخذُ صوتَ الوجدِ إلى الأسماءْ

هذي الغربةُ يا شاعرَنا دربُكَ مذ كانَ الحرفُ

على شكلِ القبَّةِ محروساً من لهفِ القلبِ

ونورسِ وجعٍ يتلهّفُ للشاطئ

والشاطئُ يهربُ من دقَّاتِ الساعةِ والأصداءْ

هذي الغربةُ فجرٌ لتروح الكلماتُ إلى جسدٍ يتشهّى

فتزيّنُ دفترَهُ بأصابعَ من شمسٍ

وتفتِّحُ فيهِ شرايينَ الشهوةِ أصواتاً

وأصابعَ من موجٍ حتّى تسمعَ دمعَ الرغبةِ صارخةً

كطيور البجعِ الهاربِ فوق الماءْ

والغربةُ تحيا فوقَ الحرفِ فتغري الشمسَ

لتسري نحوَ نجومِ الشعرِ

تضيءُ وجودَ الكونِ فلا معنى للوقتَ

بأيِّ لغات دون الشعرِ يزيِّن آفاقَ المعنى

عطرَ الروحِ

ويجمِّلُ أوقاتاً في دمنا

فنحسُّ بأنَّ الرحلةَ تنسجُ أزماناً

فيها وجعُ القلبِ وبعضُ الشوقِ

يحرِّكُ أصوات الأحياءْ

ويقولُ الشاعرُ: نمشي خطواتٍ ، تكسرنا صحراءُ الواقعِ

حتَّى نمسيَ أسئلةً تجرحُ هذي الظلمةَ

تبني لنهارِ الحبِّ دروباً

وفضاءاتٍ ، أجنحةً وطيوراً

تعرف كيفَ تنقِّرُ شباكَ الحبِّ

وتملأُ وديانَ المأساةِ شعاباً للضوءِ

وماءً يتدفقُ من صوتِ الصورةِ

فنحسُّ بأنّا نسبحُ فوقَ فضاءْ

ويقولُ كلاماً عن قافلة فراشاتٍ

تمسحُ بيديها فوقَ جراحاتِ الليلِ

وتنبعُ من صوتِ قصائدَ يرسلها

روحُ الحقلِ ، سحابٌ يمطرُ أشجاناً

فتروحُ الخضرةُ للنبعِ ، لمدائنَ سحرٍ

وتعلِّقُ قنديلاً قربَ الدربِ

تصيرُ براعمَ من ورد الشوق

رموزاً لكمالِ الصورةِ في الأشياءْ

وكواكبَ من لغةِ الحبِّ تضيءُ بقلب الشاعرِ

حتَّى يفتحَ خَزنتَها برسائلَ توقظُ أفراحَ المعنى

وتنامَ بصدر الإصغاءْ

خذني يا صوتَ أنوثتها واستبطنْ جسدي

هذا الصلصالُ يحنُّ لماءِ الحضرةِ فاتحةً

واقرأ باسمي أشعارَ الوجدِ

تجاعيدَ المنفى وكأني آخرُ صوتٍ في الليلِ

كريح القصبِ الساكنِ غيمي في دمعِ الأجواءْ

قَدرُ الشاعرِ أن يحملَ بينَ أصابعهِ

إبريقَ الخمرِ ، وماءَ السرِّ ، دموعَ الحبرِ

وما أفضى رملُ الغربةِ في جعبته

من كلماتٍ تأخذُ صوتَ مداها

حتَّى يشربَ دمعَ اللحظةِ ظنّاً

أنَّ الخمرةَ فيها

ويسافرَ في الغيمِ فراشاً

يتقمَّصُ أسرارَ الكونِ بكاءْ

قدرُ الشاعرِ أن يُجلسَ صوتَ الوقتِ

ليرمي بعضَ زهورٍ فوقَ فراشِ المقعدِ

فتجيء دروبُ الساعاتِ غناءً

وسراباً يأكلنا حزناً

ويفتِّقُ أملاً يحملنا صبحَ مساءْ

سأراك إذن يا شاعرنا فوقَ ضلوعِ الأشجارِ

ثيابِ النسوةِ ما أفضى السرُّ بخاتمك الفضيَّ عليها

وعلى شبّاكٍ يفتحُ دربَ الريحِ لصوتِ العشقِ

ولا ينسى أن يتركَ صوتَ غناءٍ يمشي في رفقته

قربَ العشبِ وقوسِ القزحِ النائم

في صدرِ الأنثى

-٢٠٠-

معجوناً بالحرقةِ في صوتِ رمادْ

سأراكَ على بابِ الفتنةِ ترسمُ أجنحةً

لفراشاتٍ تأخذُ ماءَ الشعرِ إليها

وتسافرُ صوراً في الفكرة زرعاً وحصادْ

سأراكَ سماءً، حقلاً للتاريخِ

تنقّي زمنَ الواقعِ منسوجاً كالغيمةِ

في أحضانِ الشطآن وما أبقى الظلُّ

على أسماءٍ وبلادْ

معراج الكلام

عَماءٌ يغمرُ الأكوانَ ثانيةً

فيمشي نحوَ أزرار القميصِ وعروةِ الأوقاتِ

صوتَ البُعد في أحداقنا

ويسائلُ الطرقاتِ عمَّا يسكنُ الأشياءَ

في هذي المسافةِ والصدى

فنناشدُ الأصواتَ ، أفواهَ الحمامِ

بأن تجيءَ لعلنا نرسو على جبلٍ

ونغفو فوقَ أرضِ اللهِ

في هذا المدى الموسومِ من دربِ السَحرْ

عماءٌ لا نرى غيرَ الضبابِ يغلِّفُ الأرواحَ والذكرى

ويتركُ في طريقِ الشوكِ أسئلةً

تطلُّ بصوتها فوقَ الدموعِ ، على مرايا الوقتِ

مثلَ يمامةٍ تدنو

كأنَّ اللهَ يبكي في دموعِ الأمَّهاتِ

على طريقِ الخوفِ فينا

ثمَّ يرمي ما تصادفَ من تجاعيدِ الزمانِ

على مرايا القولِ في أسماعنا

حتَّى سئمنا من صياحِ الناي

عندَ قبورنا فوقَ الصُوَرْ

سئمنا منْ شموعٍ عندَ زاويةِ الطريقِ

تقولُ للموتِ استرحْ عندي

وتوصي الماءَ أن يمشي إلى طرفِ المغاورِ

ناسياً قصبَ المزارعِ والحقولِ

ودورةً كنَّا بدأنا نحتمي بجناحها قربَ السَمرْ

فكيفَ نعيدُ إيقاعَ التكوّنِ

والمدى ملحٌ على شفةِ السريرِ

وفوقَ أثوابِ الفصولِ وصوتهِ المنسوجِ

من لغةِ الخريفِ

وما ترامى عندهُ من لثغةِ الصلصالِ في أرواحنا

هلْ كانَ ذاكَ الطينُ يرمي عشقَه

نحوَ التصوّرِ في فضاءِ اللهِ من تعبٍ

لندركَ يأسنا من فضَّةِ الأوقاتِ

ما تركَ الحنينُ من النداءِ على الحناجرِ

فوقَ أصواتِ السَفرْ

كأنَّ اليأسَ قد زرعَ البكاءَ على مرامي صوتنا

فتكسَّرتْ فينا عيونُ الوقتِ ، أحلامُ المسافةِ

والعبورُ بروحنا

حتَّى اهتدى وقتٌ لصوتِ الشعرِ في مزمارنا

واهتدى فينا البصَرْ

كأنَّ الكونَ قد نسيَ الفنونَ وسرّها

فتصاعدتْ روحُ الخريفِ

لترتدي هذي المدائنَ ، ثمَّ تمشي في حروبٍ

تملأ الوديانَ ، ساحاتِ الدموعِ

تواشيحَ المساءِ

وما يصادفُ دربَها

في صرخةِ المنديلِ في صوتِ الغيابِ

كانَّ الكونَ أقفلَ مقلةَ الرؤيا

فضاعتْ منهُ آلافُ القصائدِ

وارتدى ثوبَ السوادِ يفيضُ من تعبٍ

على صوتِ السرابِ

كأنَّ الوحشَ فينا قد أعادَ الوقتَ

للرومانِ ، لِلْفُرسِ

لِمَا في دورةِ الدمعِ الحزينِ

منَ المنافي فوقَ أصواتِ الرحيلِ إلى الشِعابِ

فهلْ كانَ الحنينُ إلى البدايةِ صوتَنا

كي نرتمي عندَ القصائدِ

نحتفي بفضائها المسكونِ في لغةِ الجمالِ

وما أفضتْ به روحُ الطبيعةِ

سرّها فوقَ الغيومِ ولفتةِ الأشجارِ

تنشرهُ قصائدَ كي تفككها غيومُ الوقتِ

في لمحِ البصرْ ؟؟؟

فهذا الشعرُ يفتحُ بابَنا لنرى الظلالَ

تجيءُ أمواجاً فتعبرُ من فضاءِ العينِ

أصواتُ الملوحةِ

ثمَّ يسري للنوافذِ أن تفتِّحَ دربَها صوبَ الرؤى

فتعودُ أزهارُ الطبيعةِ تحضنُ الأقمارَ

في مرآتها

وتعودُ أسرارُ الجمالِ إلى البشرْ

فأُبصرُ منزلَ الرؤيا على هذي المدائن

بعدما فاضَ الغناءُ على المواجعِ

وارتقتْ أفراحُنا

لتعودَ هذي الأرضُ ثانيةً

فتمحو عن دروبِ التيهِ ما أوحى الضياعُ لصوتها

فتغرِّدُ الأحلامُ، أصواتُ الزهورِ

ما تغافى عندَ أسرارِ الوجودِ منَ العصورِ

كأنّها لغةُ البدايةِ من جديدٍ

ترسمُ المعنى على لوحِ القدرْ

وأسمعُ من صدى الأقوالِ صوتاً

يأخذُ الأفلاكَ من معراجها ويقولُ:

شاعرُكَ المسوّرُ بالبراءةِ يأخذُ

الأسماءَ من روحِ الإناثِ

يقولُ شعراً من فضاءِ الشهوةِ الأولى

وما زرعتْ رياحٌ عندها

وينامُ شوقاً حينَ يرشحُ في العيونِ فضاءُ أنثى

تهتدي بمدى التبصّرِ عندَ أحلامِ الصباحِ

وصوته المغروزِ في دنيا العصورِ

يقولُ بلمحةٍ عجلى:

يطلُّ الكونُ من أصواته عندَ القصيدةِ والغناءِ

فتسمعُ الأشواقَ ثانيةً

وتبزغُ من فضاءِ العينِ أطيافُ الجمالِ

فيهتدي كلٌّ إلى أنثاهُ في صوتِ الينابيع

الّتي فتحتْ عيونَ الصخرِ

وارتحلتْ ضياءً في زوارقَ

تأخذُ الأنفاسَ ثانيةً

إلى شجرٍ على كتفِ الضبابِ

ولوحةِ الأنثى

فضاءِ الكونِ في الحورِ

ليبدأ ذلك الإيقاعُ من حرفٍ يصوِّرُ

دورةَ التكوينِ في إيقاعها نحوَ الحضورِ

لتأخذَ الأشكالُ صورتها

ويصيرَ للنونِ العجيبةِ مسكنٌ عندَ الفضاءِ الرحبِ

محمولاً على أمداءِ دربِ اللهِ

في ألحانِ سورتهِ وما كتبَ الكلامُ

منَ التحرّقِ في فضاءِ الدمعةِ الأولى

ليبوحَ مثلَ الماءِ في النهرِ

فنصبحَ مثلَ دائرةِ المعاني

فوقها روحٌ

وتحتَ ظلالها يتزيَّنُ الإيقاعُ في السَطر

٢٠١٥/٥/١٤

فهرس

الصفحة

كمان الخريف :

الصفحة

الصفحة

مرايا الحنين:

محمد الفهد

- تولد حمص ١٩٤٦.

- يحمل إجازة في اللغة العربية. شغل منصب مقرر جمعية الشعر في اتحاد العرب. وحالياً أمين فرع اتحاد الكتاب العرب في حمص.

صدر له:

- منارات الأسئلة - دار الخطيب ١٩٩٨م.
- مرايا الوقت - اتحاد الكتاب العرب دمشق ١٩٩٩م.
- مرثية الرؤيا - اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٢م.
- قصب على الشرفات - اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٥م.
- ناي يذاكر في الظلام - اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٦م.
- مناديل اللوعة – كمان الانتظار - اتحاد الكتاب العرب. دمشق ٢٠٠٩م.
- فضاء لنشوة الايقاع - اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠١١م.
- من فصول العشق والرماد - اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠١٤م.
- سراب على حكايات الغيم - وزارة الثقافة. الهيئة العامة للكتاب دمشق ٢٠١٥م.

الطبعة الأولى / ٢٠١٧م

كلمة الغلاف

كم يحزنني أنَّ الأشياءَ تغيَّر ملمسُها

وتناءتْ عن دربي

حتَّى صرتُ أحسُّ الزهرةَ تبكي روحي

فكأنَّ ورودَ الكونِ تيبَّس فيها الماءْ

هل صارَ الكونُ خراباً

أم أنَّ عيونَ الدمعةِ قد شربتْ ماءَ الدنيا

حتَّى نشفتْ أسماءٌ ودروبٌ

وتعالت أصواتُ نواحٍ من جرح الأرضِ

فصارتْ غيماً

يجرحُ مشوارَ الوقتِ مساءْ